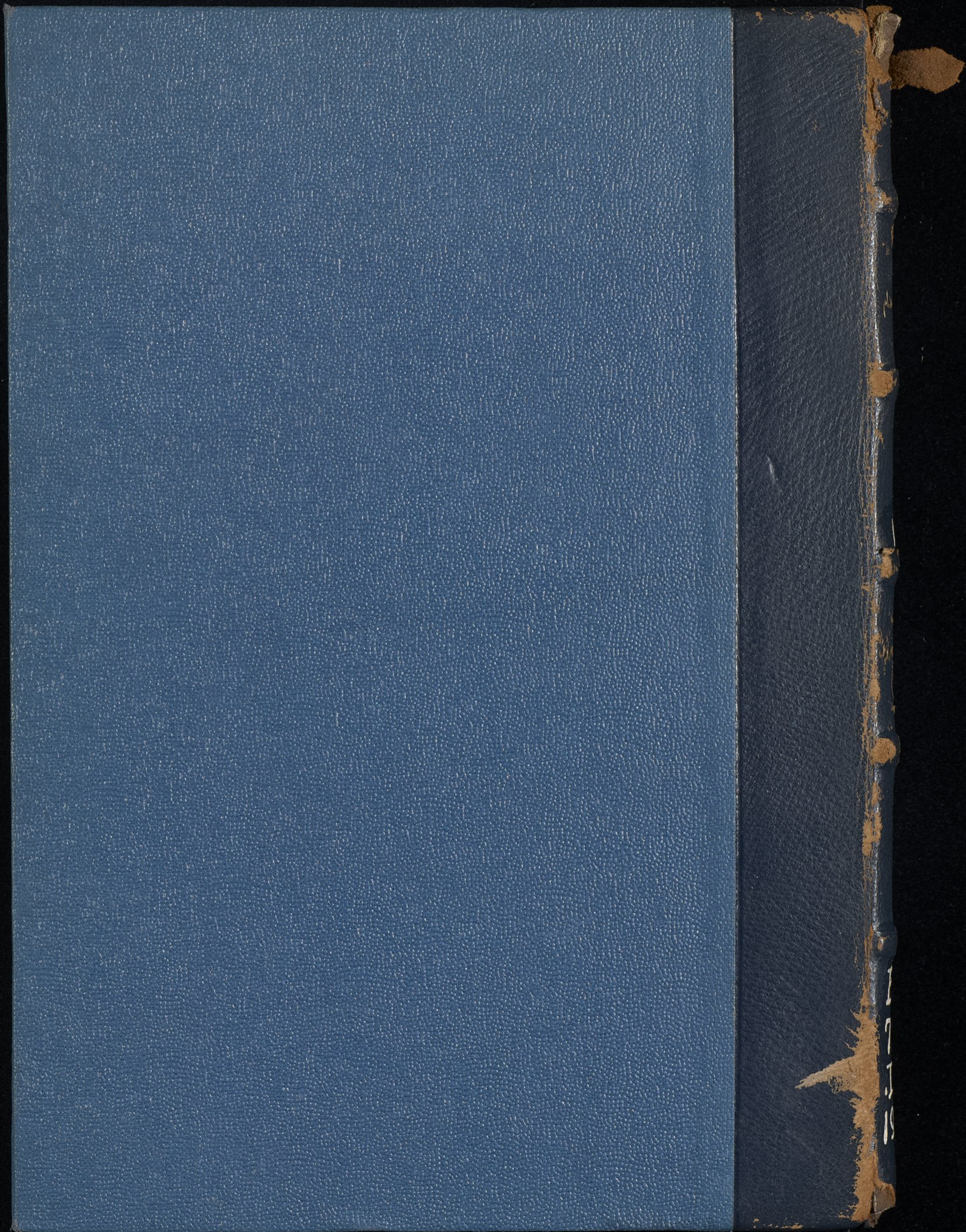


عبد السلام هارون

تهذيب سيرة ابن هشام

الجزء الثاني



ملتزم الطبع والنشر
دار سعد مصر
للطبع والنشر والإعلان
١٠ شارع كامل صدقي باشا بمصر

غزوة بنى قريظة

فى سنة خمس

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، معتجِراً بعمامة من إستَبْرَق[١] ، على بغلة عليها رِحالة[٢] ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوَ قد وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم . فقال جبريل : فما وضعت الملائكةُ السلاحَ بعد ، وما رجعتُ الآن إلا من طلب القوم . إنّ الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة ، فإنِّى عامدٌ إليهم فمزلزلٌ بهم .

فأمَرَ رسولُ الله صلى الله مؤذِّنا فأذَّن فى الناس : من كان سامعا مطيعاً فلا يصلِّيَنَّ العصر إلَّا ببنى قريظة .

وقدَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب برايته إلى بنى قريظة وابتدرها الناس ، فسار على بن أبى طالبٍ حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال : يارسول الله ، لا عليك أن لاتدنو من هؤلاء الأخابث . قال : لِمَ ؟ أظُنُّك سمعت

---

(١) الإستبرق : ديباج غليظ .

(٢) الرحالة : السرج .

منهم لى أذَى . قال : نعَم ، يا رسول الله . قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا . فلّما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزلَ بكم نقمته؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنتَ جهولا .

ولما أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم يقال لها : بئر أنَّا .

وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء الآخرة ولم يصلُّوا العصر؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يصلينَّ أحدٌ العصرَ إلا ببنى قريظة » . فشغلهم ما لم يكن لهم منه بدٌّ فى حربهم ، وأَبَوا أن يصلُّوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حتى تأتوا بنى قريظة » . فصلَّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنَّفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلةً حتى جَهدهم الحصار ، وقذفَ الله فى قلوبهم الرعب .

وقد كان حُيَيّ بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعتْ عنهم قريش وغطفان ، وفاء لـكعب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا بأنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غير منصرفٍ عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسدٍ لهم : يا معشرَ يهود ، قد نزل بكم

من الأمر ما ترون ، وإنى عارضٌ عليكم خلالًا ثلاثا فخذوا أيها شئتم .
قالوا : وما هى ؟ قال : نتابع هذا الرجلَ ونصدّقه فوالله لقد تبيَّن لكم أنه لنبى مرسل ، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارقُ حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره . قال : فإذ أبيتم علىَّ هذه فهلمَّ فلنقتلْ أبناءنا ونساءنا ، ثم نَخرُج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلِتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثَقَلا حتّى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلكْ نهلكْ ولم نترك وراءنا نَسلًا نخشَى عليه . وإن نظهرْ فلعمرى لنجدَنَّ النساءَ والأبناء .
قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم علىَّ هذه فإنَّ الليلةَ ليلةُ السبت ، وإنّه عسى أن يكون محمدٌ وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزِلوا لعلّنا نصيب من محمد وأصحابه غِرّة . قالوا : نُفسِد سبتنا علينا ، ونُحدث فيه مالم يُحدث مَن كان قبلنا إلّا من قد علمت ، فأصابه ما لم يَخفَ عليك من المسخ ! قال : ما بات رجلٌ منكم منذ ولدته أمُّه ليلةً واحدةً من الدهر حازما !

ثم إنّهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعثْ إلينا أبا لُبابة بن عبد المنذر ، لنستشيره فى أمرنا . فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فلمّا رأوه قام إليه الرجال ، وجَهَشَ إليه النساءُ والصِّبيانُ يبكون فى وجهه ، فرقّ لهم وقالوا له : يا أبا لُبابة ، أترى أن

تنزل على حكم محمد [١] ؟ قال : نعم — وأشار بيده إلى حلقه — إنه الذَّبح [٢] .

قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماى عن مكانهما حتّى عرفت أنّى قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبطَ فى المسجد إلى عَمود من عَمَده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ مما صنعت . وعاهد الله : ألّا أطأ بنى قريظة أبداً ، ولا أُرى فى بلدٍ خنتُ الله ورسولَه فيه أبدا .

فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خبرُه ، وكان قد استبطأه قال : أما إنه لو جاءنى لاستغفرت له ، فأما إذ فعلَ ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

---

(١) وذلك أنهم لما حوصروا حتى أيقنوا بالهلكة ، أنزلوا شأس بن قيس ، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزل بنو النضير ، من ترك الأموال والحلقة ، والخروج بالنساء والذرارى وما حملت الإبل إلا الحلقة . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكمه . فعاد شأس إليهم بذلك . « عن شرح المواهب للزرقانى » .

(٢) فى شرح المواهب : كأن أبا لبابة فهم ذلك من عدم إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بحقن دمائهم ، وعرف أن رسول الله سيذبحهم إن نزلوا على حكمه . بهذا أشار إلى بنى قريظة .

عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تِيبَ على أبى لبابة. قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت. فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب - فقالت: يا أبا لبابة، أبشرْ فقد تاب الله عليك!

قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يُطْلقنى بيده. فلما مرّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه.

— قال ابن هشام: أقام أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال، تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحُلُّه للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع —

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتواثبت الأوس فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلتَ فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت — وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبْلَ بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه. فسأله إياهم عبد الله بن أبىّ بن سلول فوهبهم له — فلمّا كلّمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا ترضون يا معشرَ الأوس أن يحكم فيكم رجلٌ منكم؟ قالوا: بلى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فذاك إلى سعد بن معاذ.

وكان رسول الله قد جعل سعد بن مُعاذٍ فى خيمة لامرأةٍ من أسلم، يقال لها رُفيدة فى مسجده، كانت تداوِى الجرحى وتحتسب

بنفسها على خدمة مَن كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: اجعلوه فى خيمة رُفيدة حتى أعودَه من قريب. فلما حكّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة أتاه قومُه فحملوه على حمارٍ قد وطّئوا له بوسادة من أَدَم، وكان رجلًا جسيمًا جميلا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسنْ فى مواليك، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّما ولّاك ذلك لتحسنَ فيهم! فلمَّا أكثروا عليه قال: لقد أنَى لسعدٍ ألاَ تأخذَه فى الله لومةُ لائم. فرجع بعضُ من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل فنَعَى لهم رجالَ بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التى سمع منه[1].

فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا إلى سيِّدكم — فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار. وأما الأنصار فيقولون: قد عمّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم. فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكمَ فيهم لَمَاَ حكمتُ؟ قالوا: نعم. قال: وعلى مَن

(١) أى ما فهمه من قوله: «أنى لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم» أن سعداً رأى قتلهم، فنعاهم قبل موتهم.

هاهنا ؟ — فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مُعرِض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالًا له — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال سَعد : فإنى أحكم فيهم ، أن تُقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : « لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[1] » .

ثم استُنزِلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى دار بنت الحارث[2] ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سُوق المدينة — التى هى سوقُها اليوم — فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضربَ أعناقهم فى تلك الخنادق ، يُخرَج بهم إليه أرسالا[3] ، وفيهم عدو الله حُيَيّ بن أخطب ، وكعب بن أسد رأس القوم ، وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثِّر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتِّسعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسدٍ وهم يُذهَب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفى كل موطنٍ لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعىَ لا ينزِع ، وإنّه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) جمع رقيع ، وهى السماء .

(٢) اسمها كيسة بنت الحارث .

(٣) أرسالا : جماعات .

وأُتى بحيي بن أخطب عدوِّ الله، وعليه حُلّة له فُقّاحيّة[1] قد شقّها عليه من كل ناحية قدرَ أنملةٍ، لئلا يُسلَبَها، مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله ما لُمتُ نفسى فى عداوتك، ولكنّه من يَخذل اللهُ يُخذل! ثم أقبلَ على الناس فقال: ياأيُّها الناس، إنّه لا بأس بأَمرِ الله، كتابٌ وقدرٌ وملْحمة[2] كتبها الله على بنى إسرائيل. ثم جلس فضُربت عنقه.

عن عائشة أم المؤمنين قالت: لم يقتل من نسائهم إلاّ امرأة واحدة. قالت: والله إنّها لعندى تَحدّث معى وتضحك ظهراً وبطنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السوق إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قلت لها: ويلك! مالك؟ قالت: أُقتل. قلت: ولم؟ قالت: لحدَث أحدثته[3]. قالت: فانطُلِق بها فضربت عنقُها.

فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عجباً منها، طيبَ نفسها، وكثرةَ ضحكها وقد عرفَتْ أنها تُقتَل.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كلِّ من أنْبت منهم

---

(١) فقاحية: على لون الورد هم أن يتفتح.

(٢) الملحمة: الوقعة العظيمة القتل.

(٣) قال ابن هشام: هى التى طرحت الرحى على خلّاد بن سويد فقتلته.

عن عطية القرظى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أنبتَ منهم ، وكنت غلاماً فوجدونى لم أُنبِت ، فخلّوا سبيلى .

وعن أيوب بن عبد الرحمن ، أن سلمى بنت قيس ـ وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلت معه القبلتين ، وبايعته بيعة النساء ـ سألته رفاعة بن سموأل القرظى ، وكان رجلاً قد بلغ ، فلاذَ بها(١) وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يانبىّ الله ، بأبى أنت وأمى هبْ لى رفاعة ، فإنه قد زعمَ أنه سيصلّى ويأكل لحم الجمل . فوهبه لها فاستحيته .

ثم إنّ رسول الله صلى عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل ، بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُنافة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُوفِّى عنها وهى فى ملكه . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها أن يتزوّجها ويضرب عليها الحجاب ، فقالت :

---

(١) لاذ بها : التجأ إليها .

يارسول الله ، بل تتركنى فى ملكك فهو أخفُّ علىَّ وعليك . فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصّت بالإسلام وأبت إلاّ اليهودية ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووَجد فى نفسه لذلك من أمرها ، فبينا هو مع أصحابه إذ سمِع وقعْ نعلين خلفَه ، فقال : إنّ هذا لثَعلبةُ ابن سعية يبشرنى بإسلام ريحانة . فجاءه فقال: يارسول الله ، قد أسلمَتْ ريحانة . فسرّه ذلك من أمرها .

وأنزل الله تعالى فى أمر الخندق وأمر بنى قريظة من القرآن القصة فى سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمتَه عليهم ، وكفايته إياهم ، حين فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : (يأيها الذين آمَنُوا اذكروا نعمةَ اللهِ عَلَيكم إذْ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عَلَيهم رِيحاً وجُنوداً لم تروْها وكان اللهُ بما تعملونَ بَصيرا) . والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة . وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة . يقول الله تعالى : (إذْ جاءوكم مِن فوقِكم ومِن أسفَلَ منكم ، وإذْ زاغت الأبصارُ وبَلَغت القُلوبُ الحناجِرَ وتظنّونَ باللهِ الظُّنونا) . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان . يقول الله تبارك وتعالى : (هُنالك ابتُلِىَ المؤمنونَ وزُلزِلوا زِلزالاً شديدا . وإذْ يقول المنافِقونَ والذينَ فى قلوبهم مَرَضٌ ما وعَدَنا اللهُورسولُه إلاّ غرورا) ،

لقول معتّب بن قشير[1] إذ يقول ما قال . (وإذْ قالت طائفة مِنْهم يا أهل يثْربَ لا مُقَامَ لـكم فارجِعوا ويَستأذن ُفريقٌ منهم النبيَّ يقولون إنّ بيوتنا عورةٌ وما هى بِعورةٍ إنْ يريدونَ إلاَّ فِرارا) . لقول أوس ابن قَيظيّ ومَن كان على رأيه من قومه . (ولو دُخِلتْ عَلَيهم مِن أقطارها) أى المدينة (ثم سُئلوا الفِتنةَ) أى الرجوع إلى الشرك (لآتَوها وما تلبَّثُوا بها إلاّ يسيراً . ولقد كانوا عاهَدوا الله مِنْ قَبْلُ لا يوَلُّون الأدبارَ وكان عهدُ الله مَسْئُولا) فهُم بنو حارثة ، وهم الذين همُّوا أن يفشَلوا يوم أحدٍ مع بنى سلمة حينَ همَّتا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكر لهم الذى أَعطوا من أنفسهم . ثم قال تعالى : (قُلْ لن ينفعكم الفِرارُ إنْ فررتم من الموتِ أو القتل وإذاً لا تُمتَّعونَ إلّا قليلاً . قُلْ مَن ذا الذى يَعصمكُمْ مِن الله إنْ أراد بكم سُوءاً أو أرادَ بكم رحمةً ولا يجدون لهم من دُون الله ولياً ولا نصيراً . قد يَعلم الله المعوِّقين منكم) أى من أهل النفاق (والقائلين لإخوانهم هَلُمَّ إلينا ولا يأتونَ البأسَ إلا قليلاً) أى إلا دفعاً وتعذيراً[2] ، (أَشِحّةً عليكم) أى للضِّغن الذى فى أنفسهم (فإذا جاء الخوفُ رأيتَهم يَنظُرون إليك تَدُورُ أعينُهم كالذى يُغْشَى عَلَيه من المَوْت) أى إعظاماً

(١) انظر ما مضى فى صفحة ٢٨٦ من الجزء الأول .

(٢) التعذير : أن يفعل الشىء إنما يريد أن يقيم العذر عند من يراه .

له وفرقاً منه (فإذا ذَهبَ الخوفُ سَلَقُوكم بألْسِنةٍ حِدادٍ) أى فى القول بما لاتحبُّون، لأنّهم لايرجون آخرة، ولا تحملهم حِسْبة[1]، فهم يهابون الموت هيبةَ من لا يرجو ما بعده. (يَحسَبونَ الأحزابَ لم يذهبوا) قريش وغطفان (وإنْ يأتِ الأحزابُ يَوَدُّوا لو أنَّهم بادُونَ فى الأعرابِ يَسْئَلونَ عَنْ أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتَلُوا إلّا قليلا).

ثم أقبلَ على المؤمنين فقال: (لقد كان لكم فى رسولِ الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كانَ يرجو الله واليومَ الآخِر) أى لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكانٍ هُوَ به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقَهم وتصديقهم بما وعدَهم الله من البلاء يختبرهم به، فقال: (ولما رأى المؤمنونَ الأحزابَ قالوا هذا ما وَعدَنا اللهُ ورسولُه وصَدَقَ اللهُ ورسولُه وما زادُوهم إلّا إيماناً وتسليما)، أى صبراً على البلاء، وتسليما للقضاء، وتصديقا للحق، لما كان الله تعالى وعدهم ورسولُه صلى الله عليه وسلم. ثم قال: (مِن المؤمنينَ رجالٌ صدَقوا ما عاهدُوا اللهَ عليه فمِنْهم مَن قَضَى نَحْبَه) أى فرغَ من عمله ورجَع إلى ربّه كمن استُشهِد يوم بدر ويوم أحد (ومنهم من ينتظر) أى ما وعدَ الله به من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه،

---

(١) الحسبة: الأجر.

يقول الله تعالى: (وما بَدَّلوا تبديلا) أى ما شكُّوا وما ترددَّوا فى دينهم وما استبدلوا به غيره (ليجزى اللهُ الصَّادقين بصدقهم ويعذِّب المنافقين إن شاء أو يتوبَ عليهم إنَّ الله كان غفوراً رحيما . وردَّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم) ، أى قريشاً وغطفان (لم ينالوا خيراً وكفى اللهَ المؤمنين القتالَ وكانَ اللهُ قويًّا عزيزا . وأنزلَ الذين ظاهَرُوهم من أهل الكتاب) أى بنى قريظة (مِن صياصيهِمْ) والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها (وقَذَف فى قُلوبِهم الرُّعْبَ فريقاً تَقتُلونَ وتأسِرون فريقاً) أى قتل الرجال وسبى الذرارى والنساء .(وأورثكم أرضَهم وديارَهم وأموالهم وأرضاً لم تَطئُوها) يعنى خيبر (وكانَ اللهُ على كلِّ شىء قديراً) .

فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن مُعاذٍ جُرحه فمات منه شهيدا .

عن الحسن البصرى قال : كان سعد رجلاً بادنا ، فلمَّا حمله الناس وجدوا له خِفّة ، فقال رجالٌ من المنافقين : والله إن كان لَبادناً ، وما حملنا من جنازة أخفَّ منه . فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: « إنَّ له حَمَلةً غيركم ، والذى نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتزّ له العرش » .

وقتل من المشركين ثلاثة نفر : منبِّه بن عثمان بن عبيد ، أصابه

سهم فمات منه بمكة . ومن بنى مخزوم بن يقظة نوفل بن عبد الله بن المغيرة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسدَه ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه فقتل، فغَلب المسلمون على جسده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لنا فى جَسَده ولا بثمنه » ، فخلّى بينهم وبينه .

ومن بنى عامر بن لؤى عمرو بن عبد ود ، قتله على بن أبى طالب .

واستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين خلاد بن سُوَيد ، طرحت عليه رحىً ، فشدخته شدخا شديدا . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنَّ له لأجرَ شهيدين .

ومات أبو سنان بن مِحصَن بن حُرثان ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم محاصرٌ بنى قريظة ، فدفن فى مقبرة بنى قريظة .

ولما انصرف أهل الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنّكم تغُزونهم .

فلم تغْزهم قريشٌ بعد ذلك، وكان هو الذى يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكّة .

غزوة بنى لحيان

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرمَ وصفرا وشهرَى ربيع ، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة ، إلى بنى لِحيان ، يَطلُب بأصحاب الرجيع : خُبيب ابن عدىٍّ وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشامَ ، ليصيبَ من القوم غِرّة[1] .

فخرج من المدينة[2] فسلك على غُراب : جبلٍ بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على مَحِيص ، ثم على البتراء ، ثم صفَقَ[3] ذات اليسار فخرج على بِين[4] ثم على صُخَيرات اليمام ، ثم استقام به الطريقُ على المحّجة من طريق مكة ، فأغذّ السيرَ سريعاً حتى نزل على غُرَان ، وهى منازل بنى لحيان ـ وغُرَان : واد بين أَمَج وعُسفان ، إلى بلد يقال له ساية ـ فوجدهم قد حَذِروا وتمنّعوا فى رءوس الجبال . فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غِرّتهم ما أراد

---

(١) الغرة : الغفلة .

(٢) واستعمل عليها ابن أم مكتوم .

(٣) صفق : عدل وانصرف .

(٤) بين ، بالكسر : واد قرب المدينة .

قال : لو أنّا هبطنا عُسفان لرأى أهلُ مكّة أنّا قد جئنا مكة . فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان . ثم بعثَ فارسَين من أصحابه حتى بلغا كُراعَ الغُميم ، ثم كَرَّ وراح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا .

فكان جابر بن عبد الله يقول :

سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وَجَّهَ راجعاً : آيبون تائبون إن شاء الله ، لربنا حامدون . أعوذ بالله من وعثاء السفر (١) وكآبة المنقلَب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال .

---

(١) أى مشقته وشدته .

غزة ذى قَرَد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يقُم بها إلّا ليالى قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، فى خيل من غطفان على لِقاح[1] لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة[2]، وفيها رجل من بنى غِفار[3] وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأةَ فى اللقاح .

وكان أوّلَ من نَذِر بهم[4] سلمة بن عمرو بن الأكوع السُّلَمى ، غدا يريد الغابةَ متوشّحاً قوسَه ونبله ، ومعه غلامٌ لطلحة بن عبيد الله ، معه فرسٌ له يقوده . حتى إذا علا ثنيّة الوَداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأَشرفَ فى ناحية سَلْع ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتدُّ فى آثار القوم ، وكان مثلَ السبُع ، حتى لحق بالقوم ، فجعل يردُّهم بالنبل ، ويقول إذا رمى : « خذها وأنا ابن الأكوع ، اليومَ يومُ الرُّضّع[5] » فإذا وجّهت الخيلُ نحوه انطلق هارباً ثم عارَضهم ، فإذا أمكنه الرمىُ

---

(١) اللقاح : الإبل الحوامل ذات الألبان .

(٢) الغـابة : موقع قرب المدينة من ناحية الشام .

(٣) هو ابن أبى ذر .

(٤) نذر بهم : علم بهم .

(٥) جمع راضع ، والراضع : اللئيم . والمعنى : اليوم يهلك اللئام .

رَمى ثم قال : « خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضَّع » . فيقول قائلهم : أُوَيكِعُنا هو أولَ النهار .

وبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صياحُ ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع ! فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أول من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الـفُرسان المقداد بن عمرو ، ثم عباد بن بشر بن وقش ، وسعد بن زيد ، وأُسَيد بن ظهير ، وعُكَّاشة بن محصن ، ومحرز بن نضلة ، وأبو قتادة الحارث بن ربعى ، وأبو عياش عُبَيد بن زيد . فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّر عليهم سعدَ بن زيد ، ثم قال : اخرجْ فى طلب القوم حتى أَلحقَكَ بالناس .

ولما تلاحقت الخيل قَتل أبو قتادة الحارث بنُ ربعى حبيبَ بن عيينة بن حصن ، وغشَّاه ببرده ، ثم لحق بالناس .

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين ، فإذا حبيب مسجًّى ببرد أبى قَتادة ، فاسترجع الناس وقالوا : قُتِل أبو قتادة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأَبى قتادة ، ولكنَّه قتيل لأَبى قتادة وضَع عليه بردَه لتعرفوا أنَّه صاحبه .

وأدرك عُكَّاشةُ بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا ، واستنقذوا بعض اللِّقاح

وسارَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتَّى نزل بالجبل من ذى قَرَد، وتلاحق به الناس، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به وأقام عليه يوماً وليلة. وقال سلمة بن الأكوع: يا رسول الله، لو سرّحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت بأعناق القوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم الآن ليُغبَقون فى غطفان[1].

فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه، فى كل مائة رجل جزوراً، وأقاموا عليها. ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قدم المدينة.

وأقبلت امرأة الغِفارىّ على ناقةٍ من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه، فأخبرته الخبر، فلما فرغت قالت: يارسولَ الله، إنّى قد نذرت لله أن أنحَرها إنْ نجّانى الله عليها! فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «بئس ما جزيتِها أن حملكِ الله عليها ونجّاك بها ثم تنحرينها! إنه لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين، إنما هى ناقةٌ من إبلى، فارجعى إلى أهلك على بركة الله».

---

(١) يغبقون: يسقون الغبوق، وهو اللبن يشرب فى العشى.

غزوة بنى المصطلق [1]

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جُمادى الآخرة ورجباً ، ثم غزا بنى المصطلِق من خزاعة ، فى شعبان سنة ست .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارثُ بن ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء يقال له المُرَيسيع ، من ناحية قُديد إلى الساحل. فتزاحفَ الناسُ واقتتلوا فهزمَ الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفَّل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه .

وقد أصيب رجلٌ المسلمين من بنى كلب بن عوف ، يقال له هشام بن صُبابة، أصابه رجلٌ من الأنصار من رهط عُبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأ .

فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردةُ الناس ، ومع عمر بن الخطاب آجيرٌ له من بنى غِفار يقال له : جهجاه بن مسعود ، يقود فرسَه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وَبْر الجهنى على الماء ، فاقتتلا ، فصرخَ الجهنىّ : يامعشر الأنصار ! وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ! فغضب عبد الله بن أبىّ بن سَلول — وعنده رهطٌ

---

(١) وتسمى أيضاً غزوة المريسيع .

من قومه فيهم زيد بن أرقم ، غلام حدث فقال : أو فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعُدُّنا وجلابيبَ قريش[1] إلا كما قال الأوّل : سمِّنْ كلبَك يأكلْكَ ! أماَ والله لئن رجَعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلّ ! ثم أقبلَ على مَن حضَره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوَّلوا إلى غير داركم !

فسمع ذلك زيدُ بن أرقمَ فمشَى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوّه ، فأخبرَه الخبر وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مُرْ به عَبَّادَ بن بشر فليقتلْه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف يا عمر إذا تحدّثَ الناسُ أنَّ محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذّنْ بالرحيل . وذلك فى ساعةٍ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها . فارتحل الناس .

وقد مشى عبد الله بن أبيّ بن سَلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أنّ زيد بن أرقم قد بلّغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ولا تكلَّمت به ! وكان فى قومه شريفاً عظيما ، فقال من حضر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسولَ الله ، عسى أن يكون الغلامُ قد أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ! حدَباً على ابن أبيّ بن سلول ، ودفْعاً عنه .

---

(١) لقب كان المشركون يلقبون به من أسلم من المهاجرين .

فلما استقلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أُسَيد ابن حُضَير ، فحيّاه بتحية النبوّة وسلم عليه ثم قال : يا نبيّ الله ، والله لقد رُحتَ فى ساعةٍ منكرة ما كنتَ تروح فى مثلها ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوَما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأىّ صاحبٍ يا رسولَ الله ؟ قال : عبد الله بن أبىّ . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إنْ رَجع إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ . قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليلُ وأنت العزيز ! ثم قال : يا رسول الله ، ارفقْ به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكا .

ثم مشى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومَهم ذلك حتّى أمسى ، وليلتَهم حتى أصبحَ ، وصدرَ يومِهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزلَ بالناس فلم يلبثوا أن وَجدوا مَسَّ الأرض فوقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَشغل الناسَ عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أبىّ .

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وسلك الحجازَ حتى نزلَ على ماء بالحجاز فُويق النَّقيع يقال له بَقعاء ، فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبّت على الناس ريحٌ آذتهم وتخوفوها ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوها ، فإنّما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد ابن التابوت ، أحد بنى قينقاع ، وكان عظيمًا من عظماء يهود ، وكهفاً للمنافقين ، مات فى ذلك اليوم .

ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبىّ ومَن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُذُن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذى أوفَى لِله بأذنه . وبلغ عبد الله بنَ عبد الله بن أبىّ الذى كان من أمر أبيه فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبىّ فيما بلغَك عنه ، فإن كنتَ لا بد فاعلاً فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منّى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعُنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبىّ يمشى فى الناس ، فأقتلَه فأقتل رجلًا مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفّق به ونُحسِن صحبتَه ما بقى معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدثَ الحدثَ كان قومُه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنّفونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطّاب ، حين بلغَه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلتُه يوم قلتَ لى اقتلْه لأُرعدَت له آنفٌ لو أمرتها اليومَ بقتله لقتلَتْه.

قال عمر : قد والله علمت ُلأمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظمُ بركةً من أمرى .

وقدِم مقْيس بن ُصبابة من مكة مسلماً فيما ُيظهِر ، فقال : يا رسول الله ، جئتك مسلماً ، وجئتك أطلب ديةَ أخى ، قتِل خطأً ! فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن ُصبابة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً .

وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس [1] ، وقتل علىٌّ بن أبى طالب منهم رجلين : مالكا وابنه . وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم يقال له أحمر ، أو أحيمِر .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبيا كثيرا ، فشا قسمُه فى المسلمين ، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالت عائشة : لما قسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس ابن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوةً

(١) قال ابن هشام : « وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور ، أمت ، أمت » .

مُلّاحة[1] ، ولا يراها أحدٌ إلاّ أخذَتْ بنفسه ، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها ، وعرفت أنه سيرى منها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت ، فدخلتْ عليه فقالت : يا رسولَ الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يَخْفَ عليك ، فوقعتُ فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس — أو لابن عم له — فكاتبتُه على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى . قال : فهل لكِ فى خيرٍ من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابتَك وأتزوّجك . قالت : نعم يا رسول الله . قال : قد فعلت .

وخرج الخبر إلى الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأرسلوا ما بأيديهم .

قالت : فلقد أُعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأةً كانت أعظم على قومها بركةً منها .

وعن يزيد بن رُومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليدَ بن عقبة بن أبى مُعَيط ، فلما سمِعوا به ركبوا إليه ، فلما سمِع بهم هابهم ، فرَجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أى شديدة الملاحة .

فأخبره أنَّ القومَ قد همُّوا بقتله ومنعوه ما قِبَلهم من صدقتهم ، فأكثرَ المسلمون فى ذكر غزوهم حتى همَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبينما هم على ذلك قدِم وفْدُهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسولَ الله ، سمعنا برسولك حين بعثتَه إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدِّىَ إليه ما قِبَلنا من الصدقة ، فانشَمَرَ راجعاً[1] ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ما جئنا لذلك .

فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنُوا أن تُصيبوا قَوماً بجهالةٍ فتصُبِحوا على ما فَعَلتمُ نادِمين . واعْلَموا أنَّ فيكم رسولَ الله لو يُطيعكم فى كَثيرٍ من الأمرِ لَعَنِتُّم) إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفرِه ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

---

(١) انشمر : جد وأسرع .

خبر الإفك ، فى غزوة بنى المصطلق

سنة ست

عن عائشة ، قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرعَ بين نسائه ، فأيتهنَّ خرج سهمُها خرجَ بها معه ، فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهنَّ معه ، فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَق [1] لم يَهِجهنَّ اللحمُ فيثقلن ، وكنت إذا رُحل لى بعيرى جلست فى هودجى ، ثم يأتى القوم الذين يرِّحلون لى ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به .

فلمَّا فرغَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجَّه قافلا حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ، ثم أذَّنَ فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجتُ لبعض حاجتى وفى عنقى عِقد لى ، فيه جَزْع ظَفَار [2] ، فلما فرغت انسلَّ من عنقى

---

(١) العلق : جمع علقة ، بالضم ، وهو ما يتبلغ به من الطعام .

(٢) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء .

ولا أدرى ، فلما رجعتُ إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنق فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى ، الذين كانوا يَرحلون لى البعير[1] ، وقد فرغوا من رَحلته ، فأخذوا الهودجَ وهم يظنّون أنّى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدُّوه على البعير ، ولم يشُكُّوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر ومافيه من داعٍ ولامجيب ، قد انطلق الناس . فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى ،وعرفت أن لو قد افتُقدتُ لرُجع إلى ، فوالله إنّى لمضطجعةٌ إذْ مرَّ بى صفوان بن المعطّل السلمىّ ، وقد كان تخلّف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يَبِتْ مع الناس ، فرأى سوادى فأقبلَ حتى وقفَ علىّ ، وقد كان يرانى قبل أن يُضربَ علينا الحجاب فلما رآنى قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متلفّفة فى ثيابى . قال : ماخلّفك يرحمكِ الله ؟ فما كلّمته . ثم قرّب البعير فقال : اركبى . واستأخرَ عنى . فركبتُ وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس وما افتُقدتُ حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنُّوا طلع الرجلُ يقودُ بى ، فقال أهل الإفك ماقالوا . فارتعجَ[2] العسكر ، ووالله ماأعلم بشىءٍ من ذلك .

---

(١) رحل البعير : وضع عليه الرحل .

(٢) تعج : تحرك واضطرب .

ثم قدِمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة[1]، ولا يبلغُني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبويّ، لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا، إلاّ أنى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ لطفه بى، كنت إذا اشتكيت رحمنى ولطف بى، فلم يفعل ذلك بى فى شكوايَ تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل علىّ وعندى أمىّ[2] تمرّضنى قال: كيف تيكم؟ لا يزيد على ذلك، حتى وَجدتُ[3] فى نفسى فقلت: يارسول الله — حين رأيتُ مارأيتُ من جفائه لى — لو أذِنتَ لى فانتقلتُ إلى أمى فمرّضتْنى؟ قال: لا عليك.

قالت: فانتقلت إلى أمى ولا علمَ لى بشيءٍ مما كان، حتى نَقِهتُ من وجعى بعد بضعٍ وعشرين ليلة.

وكنّا قوماً عربا لا نتّخذ فى بيوتنا هذه الكُنُف التى تتّخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنا نذهب فى فُسَح المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن كلّ ليلةٍ فى حوائجهن، فخرجت ليلةً لبعض حاجتى ومعى أمُّ مِسطح بنت أبى رُهم بن المطلب بن عبد مناف، فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرَتْ فى مِرطها[4]، فقالت: تَعِسَ

---

(١) الشكوى: المرض.
(٢) اسمها زينب بنت عبد دهمان، فيما قال ابن هشام.
(٣) الوجد: الحزن.
(٤) المرط: الكساء.

مِسْطح ! قالت : بئس لعمرُ الله ماقلتِ لرجلٍ من المهاجرين قد شهِد بدرا ! قالت : أوَ مابلَغك الخبر يابنت أبى بكر ؟ قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتْنى بالذى كان من قول أهل الإفك . قلت : أوَ قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان .

قالت : فو الله ماقدرت على أن أقضىَ حاجتى ، ورجعت ، فوالله مازلتُ أبكى حتى ظننتُ أنّ البكاء سيَصدَع (١) كبدى ، وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدَّث الناس بما تحدّثُوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ! قالت : أى بنية ، خفِّضى عليك الشأن (٢) ، فوالله لقلَّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها ، لها ضرائر ، إلا كثّرن وكثّر الناس عليها (٣) .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم - ولا أعلم بذلك - فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيُّها الناس ، مابال رجالٍ يؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلّا خيرا ، ويقولون ذلك لرجلٍ والله ماعلمتُ منه إلّا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتى إلّا وهو معى » .

---

(١) يصدع : يشق . (٢) أى هونى عليك الأمر .

(٣) أى كثروا القول فيها والعنت عليها . ويروى : « كبرن » من الكبر وهو الإثم .

قالت: وكان كِبْر ذلك[1] عند عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول، فى رجال من الخزرج، مع الذى قال مِسطح وحَمْنة بنت جحش. وذلك أنَّ أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم تكن من نسائه امرأةٌ تناصِينى[2] فى المنزلة عنده غيرها. فأما زينب فعصَمها الله بدينها فلم تقلْ إلّا خيرا. وأمّا حَمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تضادُّنى لأختها، فشقيتُ بذلك.

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالةَ قال أُسيد بن حُضير: يارسولَ الله، إن يكونوا من الأوس نَكفيكَهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك، فوالله إنهم لأهلٌ أن تضربَ أعناقهم! فقام سعد بن عُبادة، وكان قبلَ ذلك يُرى رجلاً صالحا. فقال: كذبتَ لعمر الله، لا نضرب أعناقهم، أَمَا والله ما قلتَ هذه المقالةَ إلّا أنك قد عرفتَ أنهم من الخزرج، ولوكانوا من قومك ماقلتَ هذا! فقال أُسَيد: كذبتَ لعمر الله، ولكنَّك منافق تجادلُ عن المنافقين!

قالت: وتساوَرَ[3] الناس حتّى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] فدخل

---

(١) كِبر ذلك، أى معظم ذلك الإثم.
(٢) المناصاة: المساواة.
(٣) تساوروا: تواثبوا.
(٤) أى من على المنبر.

عليّ ، فدعا علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأمّا أسامةُ فأَثنى عليَّ خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا تعلم منهم إلّاخيرا ، وهذا الكذبُ والباطل ! وأما عليٌّ فإنه قال : يارسولَ الله ، إنَّ النساءَ لكثير ، وإنك لقادرٌ على أن تَستخلف ، وسلِ الجارية فإنها تَصدُقك .

فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بُريرةَ[1] ليسألها ، فقام إليها علي بن أبي طالب فضربَها ضرباً شديدا ويقول : اصدُقي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتقول : والله ما أعلم إلاَّ خيرا ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلاَّ انّي كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه فتأتي الشاةُ فتأكله !

قالت : ثم دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي وهي تبكي معي ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ياعائشة ، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتّقي الله ، وإن كنت قد قارفتِ سوءا مما يقول الناس فتوبي إلى الله ، فإنَّ الله يقبل التوبةَ عن عباده ! فوالله ما هو إلاَّ أن قال لي ذلك فقَلَص دمعي[2] حتى ما أُحسُّ منه شيئا ، وانتظرت أَبَوَيَّ أن يجيبا عنّي

---

(١) بريرة : مولاة عائشة .

(٢) قلص : ارتفع وأمسك .

رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلَّما ! وايمُ اللهِ لأنا كنت أَحقَرَ في نفسي وأَصغر شأناً مِن أن يُنزلَ الله فيَّ قرآناً يُقرأ به في المساجد ويصلَّى به ، ولكنّي قد كنت أَرجو أنْ يَرى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في نومه شيئاً يكذِّبُ به اللهُ عنِّي ، لما يَعلمُ من براءتي ، أَو يخبر خبراً ؛ فأَمَّا قرآن يُنْزلُ فيَّ فوالله لنَفسي كانت أَحقرَ عندي من ذلك !

فلمَّا لم أَرَ أَبويَّ يتكلَّمان قلتُ لهما : أَلا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالا : والله ماندري بماذا نجيبه . ووالله ما أعلم أهلَ بيتٍ دخل عليهم ما دخلَ على آل أبي بكر في تلك الأيام !

فلما أن استعجما عليَّ[1] استعبرتُ فبكيت ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مَّما ذكرتَ أَبداً ! والله إنِّي لأَعلم لئن أقررتُ بما يقول الناسُ واللهُ يعلم أنِّي منه بريئة لأقولنَّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت مايقولون لاتصدقونني .

قالت : ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : (فصَبرٌ جميلٌ واللهُ المستعانُ على ما تَصِفُونَ) .

فوالله ما برحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسَه حتى تغشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه ، فسُجِّيَ بثوبه ووُضعتْ له وسادةٌ من أدَم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيتُ من ذلك ما رأيتُ فوالله ما فزعتُ ولا

(١) استعجم : لم ينطق .

بالَبيت ، قد عرَفْتُ أنى بريئة ، وأن الله عزَّ وجلَّ غيرُ ظالمى . وأماَّ أبواىَ فوالذى نفسُ عائشةَ بيده ما سُرِّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننتُ لتخرجنَّ أنفسهما ، فرَقاً من أن يأتى من الله تحقيقُ ما قال الناس .

قالت : ثم سُرِّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلسَ وإنَّه ليتحدَّر منه مثلُ الجُمَان[1] فى يومٍ شاتٍ ، فجعل يمسح العرقَ عن جبينه ويقول : أبشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك . قلت : بِحمدِ الله !

ثم خرجَ إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أَنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بِمسطح بن أثاثة ، وحسَّانَ بن ثابت ، وحَمْنَة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصحَ بالفاحشة ، فضُربوا حدَّهم .

قال ابن إسحاق ، عن بعض رجالِ بنى النجار : أن أبا أيوب خالدَ بن زيد قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، أتسمع مايقول الناسُ فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنتِ يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : والله ما كنت لأفعله . قال : فعائشة والله خير منك !

قالت : فلما نزلَ القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال تعالى : (إنَّ الذين جاءوا بالإفكِ عُصْبةٌ منكم لا تَحْسَبُوه شراًّ لكم بَلْ هو خيرٌ لكم لكُلِّ امرئٍ منهم ما اكتسبَ

---

(١) الجمان : حبٌّ كالدر يصنع من الفضة .

مِن الإثْم والذى تَولَّى كِبْرَه منهم له عذابٌ عظيم) — وذلك حسانُ بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا — ثم قال تعالى : (لولا إذ سَمعتموه ظَنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفُسهم خيراً) أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته .

ثم قال : (إذْ تَلَقَّونه بألسنَتكم وتقُولون بأفواهكم ما ليس لكم به عِلمٌ وتَحسَبونَه هيناً وهو عند الله عَظيمٌ) .

فلما نزل هذا فى عائشة وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان يُنفق على مِسطح لقرابته وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة وأَدخلَ علينا .

قالت : فأنزل الله فى ذلك : (ولا يَأتلِ أولو الفَضْل منكم والسَّعةِ أن يُؤتوا أولِى القُربَى والمساكينَ والمُهاجرينَ فى سَبيلِ الله وليَعْفُوا وليَصْفَحوا ألاَ تُحبُّون أنْ يَغفر الله لكم والله غفورٌ رحيم) . فقال أبو بكر : بَلى والله إنِّى لأحبُّ أن يَغفر الله لى . فرجع إلى مسطح نفَقَته التى كان يُنفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسَّانَ وأصحابه فى فِريتهم على عائشة :

لقد ذاق حسَّانُ الذى كان أهلَه
وحَمنةُ إذ قالوا هَجيرًا، ومسطحُ[1]

تعاطَوا برَجم الغيب زوجَ نبيِّهم
وسَخطةِ ذى العرش الكريم فأُترحوا[2]

وآذَوا رسولَ الله فيها فجلِّلوا
مَخازىَ تبقَى عُمِّموها وفُضِّحوا

وصُبَّت عليهم مُحْصَداتٌ كأنَّها
شآبيبُ قَطرمن ذُرى المزن تَسفَح[3]

---

(١) الهجير : الهجر والقول الفاحش القبيح .

(٢) الرجم : القول بالظن . أترحوا : أحزنوا . الترح : الحزن .

(٣) المحصدات : السياط المحكمة الفتل الشديدة . الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . الذرى : الأعالى . المزن : السحاب . تسفح : تسيل .

أمر الحديبيـــة

فى آخر سنة ست

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينـة شهر رمضان وشوالا ، وخرج فى ذى القعدة معتمراً لا يريد حربا[1] واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريشٍ الذى صنعوا : أن يَعرِضوا له بحربٍ أو يصدُّوه عن البيت ، فأبطأ عليـــه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومَن لحقَ به من العرب ، وساقَ معه الهَـدْى[2] ، وأحرمَ بالعمرة ، ليأمَن الناسُ مِن حربه ، وليعلم الناسُ أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظِّماً له .

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بعُسْفان[3] لقيه بِشر بن سفيان الكعبىُّ ، فقال : يا رسولَ الله ، هذه قريشٌ قد

---

(١) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى .

(٢) كان سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .

(٣) عسفان : منهل من مكة على مرحلتين .

سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل[1]، وقد نزلوا بذى طُوًى[2] يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا، وهذا خالدُ بن الوليد فى خيلهم قد قدَّموها إلى كُراع الغَميم[3]. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ويحَ قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خَلَّوا بينى وبين سائر العرب، فإنْ هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافِرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة، فما تظنُّ قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى به حتى يُظهره الله أو تنفردَ هذه السالفة[4]!

ثم قال: مَن رجلٌ يخرج بنا على طريقٍ غيرِ طريقهم التى هم بها؟ وإن رجلا من بنى أسلم قال: أنا يا رسولَ الله. فسلك بهم طريقاً وعراً أجرلَ[5] بين شِعاب، فلما خرجوا منه وقد شقّ ذلك على المسلمين وأفضَوا إلى أرضٍ سهلة عند منقطَع الوادى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس: قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه. فقالوا ذلك.

---

(١) العوذ: جمع عائذ، وهى الحديثة النتاج من الإبل. المطافيل: التى معها أولادها. يريد أنهم خرجوا بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا ألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمداً.

(٢) ذو طوى: موضع قرب مكة.

(٣) كراع الغميم: وادٍ أمام عسفان بثمانية أميال.

(٤) السالفة: صفحة العنق.

(٥) الأجرل: الكثير الحجارة.

فقال : والله إنها للحِطَّة[1] التى عُرِضَتْ على بنى إسرائيل فلم يقولوها .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرَىِ الحمض ، فى طريقٍ تخرجهم على ثَنِيّة المُرار، مَهبِط الحديبية من أسفل مكة .

فسلك الجيشُ ذلك الطريق، فلما رأتْ خيلُ قريشٍ قَتَرةَ الجيش[2] قد خالفوا عن طريقهم، رَجعوا راكضين إلى قريش . وخرج رسول الله عليه وسلم حتى إذا سلك فى ثنيّـة المُرار بركت ناقتهُ، فقالت الناس : خَلأت[3] الناقة . قال : ما خلأَتْ ، وما هو لها بخُلق ، ولكنْ حبسها حابسُ الفيل عن مكة . لا تدعونى قريشٌ اليومَ إلى خُطّةٍ يسألوننى فيها صلةَ الرحم إلاّ أعطيتُهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا . قيل له : يا رسولَ الله ، ما بالوادى ماءٌ ننزل عليه . فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به فى قليب من تلك القُلُب[4] فغرزه فى جوفه ، فجاش بالرَّواء[5] ، حتّى ضرب الناس عنه بعَطَن[6] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : (وقولوا حِطّة) ، ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .
(٢) القترة : الغبار .
(٣) خلأت : بركت ولم تنهض .
(٤) القليب : البئر .
(٥) جاش : ارتفع . الرواء : الكثير .
(٦) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

فلما اطمأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بُدَيل بن ورقاء الخزاعى فى رجالٍ من خزاعة، فكلّموه وسألوه: ما الذى جاء به؟ فأخبرهم أنّه لم يأتِ يريد حرباً، وإنّما جاء زائراً للبيت، ومعظماً لحرمته، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تَعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتالٍ وإنّما جاء زائراً هذا البيت.

فاتّهموهم وجبّهوهم[1] وقالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتالا، فوالله لا يدخلها علينا عنوةً أبدا، ولا تَحَدّث بذلك عنّا العرب.

وكانت خزاعة عَيبةَ نصحِ[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلمها ومشركها، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة.

ثم بعثوا إليه مِكرز بن حفص بن الأخيف، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلًا قال: هذا رجلٌ غادر. فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبديل وأصحابه، فرجعَ إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم بعثوا إليه الحُليس بن علقمة — أو ابن زبان — وكان يومئذ سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنّ هذا

---

(١) جبهه: خاطبه بما يكره.

(٢) أى خاصته وأصحاب سره.

من قوم يتألَّهون[1] ، فابعثوا الهَدْىَ فى وجهه حتى يراه ، فلمّا رأى الهدى يسيل عليه من عُرض الوادى[2] فى قلائده[3] ، وقد أكِل أوبارُه من طول الحبس عن مَحِلّه[4] ، رجع إلى قريش ولم يصلْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إعظاماً لما رأى . فقال لهم ذلك ، فقالوا له : اجلسْ فإنّما أنت أعرابىٌّ لا علمَ لك . فغضب عند ذلك وقال : يا معشرَ قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيُصَدُّ عن بيت الله مَن جاء معظِّماً له ! والذى نفسُ الحُلَيس بيده لَتُخلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفِرنَّ بالأحابيش نفرةَ رجلٍ واحد ! فقالوا له : مَهْ ، كفَّ عنّا يا حُلَيس حتّى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروةَ بن مسعودٍ الثقفى ، فخرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعتَ أوشاب الناس[5] ثم جئت بهم إلى بيضتك[6]

(١) يتألهون : يتعبدون ويعظمون الله .

(٢) عرض الوادى : جانبه .

(٣) القلادة : ما يعلق فى عنق الهدى إعلاماً له .

(٤) المحل : الموضع الذى ينحر فيه من الحرم .

(٥) الأوشاب : الأخلاط .

(٦) بيضة الرجل : قبيلته وعشيرته .

لتفضَّها بهم [1]. إنها قريشٌ قد خرجت، معها العُوذ المطافيل [2] ، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عَنوةً أبدا. وايمُ الله لكأنّى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا! وأبو بكر الصدّيق خلفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد، فقال: امصَصْ بَظْر اللات، أنحن ننكشف عنه؟ قال: مَن هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبى قحافة. قال: أما والله لولا يدٌ كانت لك عندى لكافأتُك بها، ولكن هذه بها.

ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلّمه. والمغيرة بن شعبة واقفٌ على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد، فجعل يقرع يدَه إذا تناولَ لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: اكفف يدَك عن وجه رسول الله قبل أن لا تصل إليك! فيقول عروة: ويحك! ما أفظَّك وأغلظَك! فتبسَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عروة: مَن هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة. قال: أىْ غُدَر، وهل غسلتُ سوءتَك

---

(١) تفضها: تكسرها.

(٢) انظر ما سبق فى صفحة ٢٣٨.

إلّا بالأمس[1] ! فكلّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوٍ مما كلّم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حربا .

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضّأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصُق بصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شئ إلا أخذوه . فرجع إلى قريش فقال : يا معشرَ قريش ، إنّى قد جئتُ كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشىَّ فى ملكه ، وإنّى والله ما رأيتُ ملكاً فى قومٍ قطّ مثل محمد فى أصحابه ! ولقد رأيت قوماً لا يُسْلمونه لشىء أبدا ، فَروا رأيكم .

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِراشَ بن أمية الخزاعى ، فبعثه إلى قريشٍ بمكّة ، وحمله على بعيرٍ له يقال له : « الثعلب » ليبلّغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جملَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم دعا عمرَ بن الخطاب ليبعثه إلى مكّة فيبلّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إنى أخاف قريشاً على نفسى ، وليس

---

(١) قال ابن هشام : أراد عروة بهذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر .

بمكة من بنى عدىّ بن كعب أحدٌ يمنعنى ، وقد عرَفْت قريشٌ عداوتى إيّاها ، وغلظتى عليها ، ولكنىّ أدلّكُ على رجل أعز بها منّى : عثمان ابن عفان .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفّان فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنّه لم يأت لحرب ، وأنَّه إنّما جاء زائراً لهذا البيت ومعظِّما لحرمته .

فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكّة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلّغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُفْ . فقال : ما كنتُ لأفعل حتّى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتبسته قريشٌ عندها ، فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان بن عفّان قد قُتِل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل : لا نبرحُ حتى نناجز القوم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة ، فكانت بَيعة الرِّضوان تحت الشجرة .

فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألاّ نفر .

فبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الناسُ [1] ، ولم يتخلّفْ عنه أحدٌ من المسلمين حضرها ، إلا الجدّ بن قيس ، أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته ، قد ضبأ إليها [2] يستتر بها من الناس .

ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن الذى ذُكر من أمر عثمان باطل .

---

(١) ذكر ابن هشام أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى .

(٢) ضبأ إليها : لصق بها واستتر .

أمر الهدنة

(صلح الحديبية)

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لؤى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلّا أن يرجعَ عنّاً عامَهُ هذا ، فوالله لا تحَدَّثُ العرب عنّا أنه دخلها علينا عَنوةً أبدا .

فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : قد أراد القومُ الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله علية وسلم تكلّمً فأطال الكلام ، وترَاجعا ، ثم جَرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلاّ الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى. قال : أليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعَلامَ نُعطِى الدنيّةَ[1] فى ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عُمر ، الزم غَرْزَه[2] ، فإنّى أشهد أنّه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

---

(١) الدنيَّة : الذل والأمر الخسيس .

(٢) أى الزم أمره . والغرز للرحل ، بمنزلة الركاب للسرج .

ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ألستَ برسول الله؟ قال: بلى. قال: أوَ لسنا بالمسلمين قال: بلى. قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال فعلامَ نُعطِي الدنيّةَ في ديننا؟ قال: أنا عبدالله ورسوله، لن أخالفَ أمرَه، ولن يُضيعني.

فكان عمر يقول: ما زلت أتصدّق وأصوم وأصلّي وأعتق من الذي صنعتُ يومئذ! مخافة كلامي الذي تكلمتُ به، حتى رجوت أن يكون خيرا.

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب «باسمك اللهم». فكتبها.

ثم قال: اكتب: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سُهيلَ ابن عمرو». فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب:

«هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سُهيلَ بن عَمرو. اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهنّ الناس ويكفّ بعضُهم عن بعض. على أنه مَن أتى محمداً من قريش بغير إذنِ وليّه ردّه عليهم. ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّه عليه. وإن بيننا عَيبةً

مكفوفة[1] . وإنه لا إسلال ولا إغلال[2] . وإنه مَن أحبَّ أن يدخل في عقد قريشٍ وعهدهم دخل فيه ».

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وإنك ترجع عنّا عامَك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عامٌ قابلٌ خرجنا عنك فدخلتَها بأصحابك فأقمتَ بها ثلاثا ، معك سلاح الرَّاكب، السيوف في القُرُب ، لا تدخلها بغيرها .

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل ابن ، عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف في الحديد ، قد انفلتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا ، وهم لا يشكُّون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمَّل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه ، دخل على

---

(١) أصل العيبة وعاء من جلد يكون فيه المتاع . مكفوفة : أشرجت على ما فيها وأقفلت . ضرب ذلك مثلا للقلوب التي طويت على ما تعاقدوا عليه .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

الناسِ من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادوا يَهلِكون . فلما رأى سهيلٌ أبا جندل قام إليه فضربَ وجهه وأخذ بتلبيبه[1] ، ثم قال : يا محمد ، قد لجّت القضية[2] بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت . فجعل يَنـتُره[3] بتلبيبه ويجره ليردَّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين ، أأرَدُّ إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ ! فزاد ذلك الناسَ إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإنّ الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجا ! إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنّا لا نغدر بهم .

فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : اصبر ياأبا جندل ، فإنهم المشركون ، وإنّما دمُ أحدهم دم كلب ! ويدني عمر قائمَ السيف منه ، يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيفَ فيضرب به أباه ! فضن الرّجل بأبيه ، ونفذت القضية .

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ،

---

(١) التلبيب : مجمع الثياب عند الصدر والنحر ؛ أخذ بتلبيبه : جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه يجره .

(٢) لجت القضية : تم الحكم .

(٣) نتره : جذبه جذباً شديداً .

وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمود بن مَسلمة ، ومِكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبى طالب وكَتَبَ ، وكان هو كاتبَ الصحيفة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطرباً فى الحِلْ ، وكان يصلِّى فى الحرم ، فلمَّا فرغ من الصُّلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون .

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : (إنا فتحنا لكَ فتحاً مبينا . لِيغفرَ لك اللهُ ما تَقدَّم مِن ذَنْبك وما تأخَّر ، ويُتِمَّ نعمتَه عليكَ ويهدِيَك صِراطاً مستقيما) .

ثم قال تعالى: (لقد صدَقَ اللهُ رسولَه الرؤيا بالحقِّ لَتدخلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللهُ آمنينَ محلِّقينَ رءوسَكم ومُقَصِّرين لا تَخافون ، فعَلِمَ ما لم تعلموا) أى لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف . يقول : محلقين رءوسكم ومقصّرين معه لا تخافون ، فعلم من ذلك ما لم تعلموا (فَجَعَلَ مِن دُونِ ذلك فتحاً قريباً) ، صلح الحديبية .

يقول الزّهرى : فما فتح فى الإسلام فتحٌ قبلَه كان أعظم َمنه ، إنّما كان القتال حيث التقى الناس . فلما كانت الهُدنة ووُضعت الحرب ، وأمِن الناس بعضُهم بعضا ، والتقَوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلَّمْ أحدُ بالإسلام يعقِـل شيئا إلاّ دخلَ فيه . ولقد دخل فى تينك السنتين مثلُ من كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر (١) .

(١) قال ابن هشام : والدليل على قول الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية فى ألف وأربع مائة ، فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

ذكر المسير إلى خَيبر

فى المحرم سنة سبع

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعضَ المحرّم ، وولىَ تلك الحجة المشركون ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر .

عن أبى معتِّب بن عمرو :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرفَ على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قِفوا . ثم قال :

« اللهمَّ ربَّ السَّمٰوات وما أَظْلَلْن ، وربَّ الأرضين وما أقْلَلْنَ ، وربَّ الشياطين وما أضْلَلْنَ ، وربَّ الرِّياح وما أذرَيْن ، فإنّا نسألك خيرَ هذه القرية وخيرَ أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشرّ ما فيها . أقدِموا باسم الله » .

قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قريةٍ دخلها .

وعن أنس بن مالك قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُغِرْ عليهم حتّى يصبح ، فإن سمِعَ أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار . فنزلنا خيبر ليلا ، فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتّى إذا أصبح لم

يَسمع أذانا، فركب وركبنا معه، فركبتُ خلفَ أبى طلحة وإنّ قدمى لَتمسُّ قدمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستقبلنا عُمّال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحيهم ومَكاتلهم[1]، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيشَ قالوا: محمد والخميس[2]! فأدبروا هُرَّابا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، خرِبت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباحُ المنذَرين.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عِصْر[3]، فبُنى له فيها مسجد، ثم على الصهباء[4]. ثم أقبلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع، فنزل بينهم وبين غطفان، ليـُحول بينهم وبين أن يُمّدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فبلغنى أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا[5] يهود عليه، حتى إذا

---

(١) المساحى: جمع مسحاة، وهى مجرفة من حديد. والمكتل: قفة كبيرة.

(٢) الخميس: الجيش، لانتظامه خمس فرق: الميمنة، والميسرة، والمقدمة والمؤخرة، والقلب.

(٣) جبل بين المدينة ووادى الفرع.

(٤) موضع بينه وبين خيبر روحة.

(٥) ليظاهروا: ليعاونوا وينصروا.

ساروا مَنْقلة[1] سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حِسًّا ، ظنُّوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وخلَّوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وتدنَّى[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموالَ يأخذها مالًا مالًا ، ويفتحها حصنا حصنا . فكان أول حصونهم افتُتح حصن ناعم ، وعنده قُتِل محمود بن مسلمة ، ألقيت عليه منه رحًى فقتلتْه ، ثم القَموص حصن بنى أبى الُحقيق ، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا منهنّ صفية بنت حُييّ بن أخطب — وكانت عند كنانة بن الربيع ابن أبى الحُقَيق — وبنتَىْ عمٍّ لها ، فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه .

وكان دحية بن خليفة الكلبى قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية ، فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنتَىْ عمِّها . وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين .

ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنَيهم : الوطيح والسُّلالم ، وكان آخر حصون خيبر افتتاحا . فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

---

(١) منقلة : مرحلة .   (٢) تدنّى : أخذ الأدنى فالأدنى .

وخرج مرحبٌ اليهوديّ من حصنهم قد جمع سلاحَه ، يرتجز ويقول :

قد علمتْ خيبرُ أنّي مرَحبُ شاكي السلاح بطلٌ مجرَّب[1]
أطعنُ أحياناً وحينا أضربُ إذا الليوث أقبلت تَحرَّبُ[2]
إنَّ حمايَ للحِمَى لا يُقرَبُ

وهو يقول : مَن يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك :

قد علمت خيبرُ أنّي كعبُ مفرِّج الغُمَّى جريءٌ صُلبُ[3]
إذ شبَّت الحربُ تلتها الحربُ معي حُسامٌ كالعقيق عضبُ[4]
نطؤكم حتَّى يذِلَّ الصعبُ نُعطِي الجزاءَ أو يفيءَ النَّهبُ
بكفِّ ماضٍ ليس فيه عتبُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور الثائر . قُتل أخي بالأمس. قال : فقُم إليه . اللهمّ أعنه عليه .

---

(١) الشاكي السلاح : التام السلاح الحديدة .
(٢) تحرب ، أي مغضبة .
(٣) الغمى : الشدة والكرب .
(٤) العقيق : شعاع البرق .

فلمّا دنا أحدُهما من صاحبه دخلت بينهما شجرةٌ عُمْريّة[1] من شجر العُشَر[2] فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ بها اقتطع صاحبُه بسيفه مادونه منها، حتّى برز كل واحدٍ منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنَن. ثم حَمل مرحبٌ على محمد بن مَسلمة، فضربه فاتّقاه بالدَّرقة، فوقع سيفُه فيها، فعضّت به فأمسكته. وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله.

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول: من يبارز؟ فزعم هشام بن عروة، أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر فقالت أمُّه صفيّةُ بنتُ عبد المطَّلب: يَقتل ابنى يارسول الله؟ قال: بل ابنُك يقتله إن شاء الله! فخرج الزبير فالتقيا، فقتله الزبير.

وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه برايته، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع ولم يَكُ فَتح وقد جُهد. ثم بعث الغدَ عمر بنَ الخطاب، فقاتلَ ثم رجع ولم يك فتحٌ وقد جُهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله، يفتح الله على

(١) عمرية: قديمة.
(٢) العشر: شجر أملس ضعيف العود.

يديه ، ليس بفرَّار . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علياً رضوانُ الله عليه ، وهو أرْمَد ، فتفَل فى عينه ثم قال : خذْ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ![1]

يقول سلمة : فخرجَ والله بها يأنِح ، يُهروِل هَرولةً ، وإنّا لخلفه نتّبع أثرَه ، حتى ركز رايتَه فى رَضْمٍ[2] من حجارة تحت الحِصن ، فاطّلع إليه يهودىٌّ من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا علىّ ابن أبى طالب . يقول اليهودىُّ : عَلوتُم وما أُنزِل على موسى !

فما رجَع حتّى فتح الله على يديه .

وحاصر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ خيبر فى حصنيهم الوَطيح والسُّلالم ، حتى إذا أيقَنُوا بالهلكة سألوه أن يسيِّرهم[3] وأن يحقِن لهم دماءهم . ففعل — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلَّها : الشّقّ ، ونَطاةَ ، والكتيبة ، وجميع حصونهم إلاّ ما كان من ذينك الحصنين — فلمّا سمع بهم أهلُ فدَكَ قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيِّرهم وأن يحقن دماءهم ويُخلُّوا له الأموال ، ففعل .

---

(١) يأنح : به نفس شديد من الإعياء فى العدو .

(٢) الرضم : الحجارة المجتمعة .

(٣) يسيرهم : يخرجهم ويجليهم عن بلدهم .

وكان فيمن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك مُحيِّصة بنى مسعود ، أخو بن حارثة ، فلما نزلَ أهلُ خيبر على ذلك سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم فى الأموال على النصف . وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعْمَرُ لها . فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، على أنّا إن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . فصالحه أهلُ فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين ، وكانت فدَك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يُجلبوا عليها بخيلٍ ولا ركاب .

فلما اطمأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب ابنة الحارث، امرأة سَلاّم بن مِشكم ، شاةً مصليَّةً[1] ،وقد سألت: أىُّ عضوٍ من الشاة أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذراع . فأكثرت فيها من السمّ ثم سمَّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتْها بين يدَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تناولَ الذراع فلاكَ منها مُضغةً فلم يُسِغْها ، ومعه بشر بن البرَاء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأمّا بشرٌ فأساغها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال : إنّ هذا العظم ليُخبرنى أنه مسموم ، ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : ماحملك على ذلك ؟ قالت : بلغتَ من قومى ما لم يَخْفَ عليك ، فقلتُ : إن كان ملِكاً استرحتُ

(١) المصلية : المشوية .

منه ، وإن كان نبياً فسيُخبَر. فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات بشر من أكلته التى أكل.

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القُرى ، فحاصَرَ أهلَه ليالى ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة.

ولما أعرسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية ، بخيبر أو ببعض الطريق ، وكانت التى جمَّلتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشَّطتها وأصلحت من أمرها ، أمُّ سُليم بنت مِلحان ، أمّ أنس ابن مالك ، فبات بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد متوشحاً سيفَه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُطيف بالقُبّة ، حتّى أصبحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا رأى مكانَه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسولَ الله ، خِفتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأةً قد قَتَلْتَ أباها وزوجَها وقومها ، وكانت حديثةَ عهدٍ بكفر ، فخفتُها عليك . فزعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهمّ احفظ أبا أيوبَ كما بات يحفظنى !

ولما انصرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر فكان ببعض الطريق قال مِن آخر الليل : مَن رجلٌ يحفظُ علينا الفجرَ لعلّنا ننام ؟ قال بلال : أنا يا رسولَ الله أحفظُه عليك . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الناس فناموا ، وقام بلالٌ يصلِّى ، فصلَّى

ما شاء الله عزّ وجلَّ أن يصلِّي ، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجرَ يرمُقه ، فغلبته عينُه فنام ، فلم يوقظْهم إلّا مَسُّ الشمس . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّلَ أصحابه هبَّ فقال : ما ذا صنعتَ بنا يا بلال ؟ قال : يا رسولَ الله ، أخذَ بنفْسى الذى أخذَ بنفسك . قال : صدقْت . ثم اقتاد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعيرَه غير كثير ، ثم أناخ فتوضّأ وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة ، فصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلمَّا سلَّم أقبلَ على الناس فقال : إذا نسيتم الصَّلاةَ فصلُّوها إذا ذكرتموها ، فإنَّ الله تبارك وتعالى يقول : (أقِم الصَّلاةَ لذِكرِى) .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى قد أعطى ابن لُقيم العَبْسىّ حين افتتح َخيبر ، ما بها من دَجاجة أو دواجن (١) ، وكان فتحُ خيبر فى صفر ، فقال ابن لُقَيم العبسىُّ فى خيبر :

رُميتْ نَطَاةُ من النبىِّ بفَيلقٍ شهباءَ ذاتِ مَناكبٍ وفَقَارِ (٢)
واستيقَنتْ بالذُّلِّ لمَّا شُيِّعتْ ورِجالُ أسلمَ وسْطَها وغِفارُ (٣)
صَبَحتْ بنى عمرو بن زُرعة غُدوةً والشَّقُّ أظْلَمَ أهلُه بنهار (٤)

(١) الداجن : ما يألف بيوت الناس ، كالشاة والحمامة .
(٢) نطاة : حصن بخيبر . الفيلق : الكتيبة . الشهباء : البيضاء ، الكثيرة السلاح .
(٣) شيعت : فرقت . أسلم وغفار : قبيلتان .
(٤) الشق : حصن بخيبر .

جَرَّتْ بأبطَحِها الذُّيولَ فلم تدع ... إلّا الدّجاجَ تصيح فى الأسحارِ (١)

ولِكلِّ حصنٍ شاغلٌ من خيلهم ... مِن عبد أشهَلَ أو بنى النجارِ (٢)

ومُهاجرِين قدَ اُعلموا سِيماهُم ... فوقَ المغافر لم يَنُوا لفِرار (٣)

ولقد علمت ليَغلِبنّ محمَّـدٌ ... وليثوِينَّ بها إلى أصفار (٤)

فرّت يهودُ يومَ ذلك فى الوغَى ... تحت العجاج غمائم الأبصار (٥)

---

(١) الأبطح : المكان السهل .

(٢) قبيلتان من الأنصار .

(٣) المغفر : ما يكون على الرأس وقاية لها فى الحرب .

(٤) ليثوين : ليقيمن . أصفار : جمع صفر ، وهو اسم الشهر .

(٥) فرت : كشفت ، كما تفر الدابة عن أسنانها . وغمائم الأبصار ، أراد بها الجفون .

قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام :

عن الشعبى : أنّ جعفر بن أبى طالب قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبَّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والتزمَه وقال : ما أدرى بأيِّهما أنا أَسَرُّ ، بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟

قال ابن إسحاق :

وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم إلى النجاشىِّ عمَرو بن أمية الضَّمْرىَّ ، فحملهم فى سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية :

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب بن عبد المطَّلب ، معه امرأته أسماء بنت عُميس الخثعمية ، وابنُه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وابناه سعيد بن خالد ، وأَمَةُ بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة ؛

وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ؛ ومعيقيب بن أبى فاطمة ، خازن عمر بن الخطَّاب على مال المسلمين ؛ وأبو موسى الأشعرىَّ .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : الأسود بن نوفل بن خويلد .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : جهم بن قيس .

ومن بنى زُهرة بن كلاب : عامر بن أبى وقاص ، وعتبة بن مسعود .

ومن بنى تيم بن مرة : الحارث بن خالد بن صخر .

ومن بنى جُمح بن عمرو : عثمان بن ربيعة بن أهبان .

ومن بنى سهم بن عمرو : مِحمِيَة بن الجَزْء .

ومن بنى عدى بن كعب : مَعمَر بن عبد الله بن نَضْلة .

ومن عامر بن لؤىٍّ : أبو حاطب بن عمرو ، ومالك بن ربيعة .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط

وقد كان حُمل معهم فى السفينتين نساءٌ من نساءِ مَن هلك هنالك من المسلمين .

فهؤلاء الذين حَمل النجاشىُّ مع عمرو بن أمية الضمرىِّ فى السفينتين. فجميع من قدِم فى السفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر رجلا . وجميع من تخلف عن بدر ولم يَقْدَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين أربعة وثلاثون رجلا .

عمرة القضاء

فى ذى القعدة سنة سبع

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع، وجمادَيين، ورجباً وشعبان، ورمضان وَشوالا، يبعث فيما بين ذلك مِن غزوه وسراياه.

ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء، مكانَ عمرته التى صدّوه عنها، وخرج معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه فى عمرته تلك، وهى سنة سبع. فلما سمع به أهل مكة خرجوا، وتحدّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه فى عُسرة وَجهدٍ وشدة.

قال ابن عباس:

صَفُّوا له عند دار النَّدوة، لينظروا إليه وإلى اصحابه، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بردائه[1] وأخرج عضده اليمنى ثم قال: رحم اللهُ أمراً أراهم اليوم من نفسه قوة! ثم استلم الركن، وخرج يُهرولِ ويهرول أصحابُه معه، حتى إذا واراه البيتُ منهم واستلم الرُّكن اليمانىَّ، مشى حتىَّ يستلم الركن الأسود. ثم هرولَ كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها.

---

(١) اضطبع: أدخل بعضه تحت عضده اليمنى، وجعل طرفه على منكبه الأيسر.

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث فى سفره ذلك وهو حرام. وكان الذي زوّجه إياها العباس ابن عبد المطلب.

فأَقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكَّة ثلاثا، فأَتاه حُويطب ابن عبد العُزّى فى نفرٍ من قريش، فى اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكَّلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك[1] فاخرجْ عنَّا. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: وما عليكم لو تركتمونى فأعرستُ بين أظهركم وصنعت لكم طعاما فحضرتموه! قالوا: لاحاجة لنافى طعامك، فاخرجْ عنَّا.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلَّف أبا رافع مولاه على ميمونة حتى أتاه بها بِسَرف[2] فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك، ثم انصرف إلى المدينة.

قال ابن هشام: فأنزل الله عزّ وجلّ — فيما حدثنى أبو عبيدة —: (لقد صَدَق اللهُ رسولَه الرؤيا بالحَقِّ لتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاء الله آمِنينَ محلِّقين رءوسَكم ومقصِّرينَ لا تخافون، فعلِمَ مالم تعلموا، فجَعَلَ مِن دونِ ذلك فتحاً قريباً).

---

(١) أى الأجل الذى اتفق عليه فى صلح الحديبية، وهو ثلاثة أيام.

(٢) سرف: موضع قرب التنعيم.

غزوة مؤتة[1]

فى جمادى الأولى سنة ثمان

فأقام بها[2] بقية ذى الحجة — وولى تلك الحجة المشركون — والمحرَّمَ وصفراً وشهرَى ربيع. وبعث فى جمادى الأول بَعْثَهُ إلى الشام الذين أصيبوا بمُؤتة. واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس.

فتَجهَّز الناس ثم تهيئوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حَضَرَ خروجُهم ودَّع الناسُ أمراءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلَّموا عليهم، فلماَّ وُدِّع عبدُ الله بن رَواحة مع مَن وُدِّع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى، فقالوا له: ما يُبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أَمَا والله ما بى حبُّ الدنيا، ولا صَبابةٌ بكم، ولكنى سمعت رسول الله يقرأ آيةً من كتاب الله عزّ وجلّ، يَذكر فيها النار: (وإنْ منكم إلا وارِدُها كان على ربِّك حَتماً مقضيًّا) فلستُ أدرى كيف لى بالصَّدَر بعد الورود! فقال المسلمون: صَحِبكم الله ودَفَعَ عنكم، وردّكم إلينا صالحين!

---

(١) مؤتة: قرية من أرض البلقاء بالشام.
(٢) أى بالمدينة.

فقال عبد الله بن رواحة :

لكنّني أسأل الرحمن مغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تقذف الزَّبَدا [1]
أو طعنةً بيدَىْ حَرّانَ مجهِزةً ... بحَربةٍ تُنفِذ الأحشاء والكبدا [2]
حتَّى يقَالَ إذا مرُّوا على جَدَثى ... أرشَدَه الله من غازٍ وقد رشَدا [3]

ثم خرج القوم وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة :

خلَفَ السَّلامُ على امرئٍ ودَّعتَه ... فى النخل خيرَ مشيِّعٍ وخليلِ [4]

ثم مضوا حتى نزلوا مَعان من أرض الشام، فبلغ الناسَ أنّ هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى ألفٍ من الروم، وانضمّ إليهم من لخمٍ وجُذام والقَين وبَهراء وبليٍّ مائةُ ألفٍ منهم، عليهم رجلٌ من بليٍّ ثم أَحد إراشة، يقال له مالك بن زافلة، فلمّا بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعان ليلتين يفكرون فى أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدوّنا، فإمّا أن يُمدَّنا بالرجال وإمّا أن يأمرَنا بأمره فنمضىَ له .

---

(١) الفرغ : السعة . والزبد: رغوة الدم.
(٢) مجهزة : سريعة القتل . تنفذها : تخترقها .
(٣) الجدث : القبر . ويروى : « يا أرشد الله » .
(٤) خلف للسلام ، أى كان السلام خلفا .

فشجَّع النَّاسَ عبدُ اللهِ بنُ رواحة وقال : يا قوم ، واللهِ إنَّ التى تكرهون لَلَّتى خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل النَّاس بعددٍ ولا قُوَّة ولا كثرة ، مانقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذى أكرمَنا الله به ، فانطلِقوا فإنما هى إحدى الحُسْنيَين : إما ظُهورٌ ، وإمّا شهادة .

فقال الناس : قد واللهِ صدق ابنُ رواحة .

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتُخوم[1] البلقاء لقيتْهم جموع هِرقلَ من الروم والعرب ، بقريةٍ من قرى البلقاء يقال لها : مشارف . ثم دنا العدوّ وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤتة ، فالتقى الناسُ عندَها ، فتعبّأ لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بنى عُذْرة يقال له قُطبة بن قَتادة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عُباية ابن مالك .

ثم التقى الناسُ واقتتلوا ، فقاتلَ زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط[2] فى رماح القوم .

ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال[3] اقتحمَ عن فرس

---

(١) التخوم : الحدود الفاصلة بين أرض وأرض ، واحدها : تخم .

(٢) شاط : سال دمه فهلك .

(٣) ألحمه القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصا .

له شقْراء فعقرها(1) ثم قاتل القومَ حتى قُتل وهو يقول :

يا حبّذا الجنةُ واقترابُها طيّبةً وبارداً شرابُها
والرُّومُ رومٌ قد دنا عذابُها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها
عليّ إذْ لاقيتُها ضرابُها

قال ابن هشام : وحدَّثنى من أثق به من أهل العلم :

أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطعت ، فأخذه بشماله فقُطعت ، فاحتضنه بعضُديه حتى قُتِل ، رضى الله عنه ، وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . ويقال : إن رجلاً من الرُّوم ضربه يومئذ ضربةً فقطعه بنصفين .

قال ابن إسحاق :

فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بنُ رواحة الراية ، ثم تقدَّم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردّد بعضَ التردّد ، ثم قال :

أقسمتُ يانفسُ لتنزلنَّه لَتنزلِنَّ أو لتُكرَهِنَّه
إن أجلبَ الناسُ وشدوا الرَّنَّهْ(2) مالى أراكِ تكرهين الجنَّه
قد طال ما قد كنتِ مطمئنَّه هل أنتِ إلاّ نُطفةٌ فى شَنَّه(3)

---

(1) اقتحم عنها : رمى بنفسه عنها . عقرها : ضرب قوائمها بالسيف وهى قائمة .
(2) أجلبوا : صاحوا واجتمعوا . الرنة : صوت فيه ترجيع شبيه بالبكاء .
(3) النطفة : الماء القليل الصافى . الشنة : السقاء البالى .

قال أيضا :

يانفسُ إلا تُقتَلى تموتى   هذا حِمامُ الموت قد صَلِيتِ
وما تمنَّيتِ فقد أعطيتِ   إنْ تفعَلى فعلَهما هُديتِ

ثمَّ نزل . فلما نزل أتاه ابنُ عمٍّ له بعَرْقٍ من لحم[١] فقال : شدَّ بهذا صُلبَك ، فإنّك قد لقيتَ فى أيامكَ هذه ما لقيت ! فأخذه من يده ثم انتَهسَ منه نَهسةً[٢] ، ثم سمِع الحَطْمَة[٣] فى ناحية الناس فقال : وأنتِ فى الدُّنيا ! ! ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفَه فتقدَّم ، فقاتلَ حتّى قُتِل .

ثم أخذ الرايةَ ثابت بن أقرم ، أخو بنى العَجْلان ، فقال : يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجلٍ منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناسُ على خالد بن الوليد . فلما أخذ الرايةَ دافعَ القوم وحاشَى بهم[٤] ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : «أخذالرايةَ زيد بن حارثة فقاتل بها حتّى قُتِل شهيدا ، ثم أخذها جعفرٌ فقاتلَ بها حتّى قُتِل شهيدا » . ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى تغيّرت وجوه الأنصار ، وظنُّوا أنّه قد كان فى عبد الله بن رواحة

(١) العرق ، بالفتح : العظم عليه بعض اللحم .
(٢) انتهس : أخذ منه بيده يسيراً .
(٣) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .
(٤) حاشى بهم : انحاز .

بعضُ ما يكرهون. ثم قال: «ثم أخذها عبدالله بن رواحة فقاتلَ بها حتى قُتِل شهيدا». ثم قال: «لقد رُفِعوا إلىّ فى الجنّة فيما يرى النائم على سُررٍ من ذهب، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا[1] عن سريرَىْ صاحبيه، فقلت: عمَّ هذا؟ فقيل لى: مضَيا وتردّدَ عبدُ الله بعضَ التردُّد، ثم مضى».

فلما انصرف خالد بالناس أقبلَ بهم قافلا.

ولما دنَوا من المدينة تلقّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون. ولقيهم الصبيان يشتدُّون[2]، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقبلٌ مع القوم على دابّة، فقال: خذوا الصبيانَ فاحملوهم وأعطونى ابنَ جعفر. فأُتى بعبد الله فأخذَه فحملَه بين يديه.

وجعل الناس يَحْثُون على الجيش التُّراب ويقولون: يا فُرّار! فررتم فى سبيل الله!

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليسوا بالفُرّار، ولكنّهم الكُرّار إنْ شاء الله تعالى.

وكان مما بُكى به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قول حسّان بن ثابت:

---

(١) ازورارا: ميلا وعوجا.

(٢) يشتدون: يسرعون فى العدو.

تأوّبنى ليلٌ بيثرب أعسَرُ وهمٌّ إذا ما نوّمَ الناسُ مسْهِرُ (١)
لذكرى حبيبٍ هيّجتْ لىَ عبرةً سَفوحًا وأسباب البكاء التذكرُ (٢)
بلى ، إن فقدان الحبيب بليّةٌ وكم مِن كريم يبتلَى ثم يَصبر (٣)
رأيتُ خيار المسلمين تواردوا شَعوبَ وخلْفًا بعدهم يتأخّرُ
فلا يُبعِدنَّ الله قتلَى تتابَعوا بمؤتةَ منهم ذو الجَناحين جعفرُ
وزيدٌ وعبد الله حين تتابعوا جميعاً وأسباب المنية تخطِرُ (٤)
غداةَ مَضوا بالمؤمنين يقودهم إلى الموت ميمونُ النقيبة أزهرُ (٥)
أغرُّ كضوء البدر من آل هاشمٍ أبىٌّ إذا سِيمَ الظُّلامةَ مِجْسَرُ (٦)
فطاعنَ حتّى مالَ غيرَ موسَّدٍ بمعترَك فيه قناً متكسِّرُ (٧)
فصار مع المُستَشهَدين ، ثوابُه جِنانٌ وملتفُّ الحدائق أخضر
وكنّا نرى فى جعفر من محمد وفَاءً وأمراً حازما حين يأمر
فما زال فى الإسلام من آل هاشم دعائم عزٍّ لا يُزلْنَ ومفخر

---

(١) تأوبنى : عادنى . أعسر : عسير . نوم الناس : ناموا .

(٢) سفوح : سائلة غزيرة .

(٣) ويروى : « بلاء وفقدان » .

(٤) تخطر : أصل معناه تختال وتهتز .

(٥) ميمون النقيبة : مسعود الجد . أزهر : أبيض .

(٦) سيم الظلامة : حمل على قبول الظلم . المجسر : المقدام الجسور .

(٧) المعترك : موضع الحرب .

هم جبلُ الإسلام والناس حولهم   رِضامٌ إلى طَودٍ يروق ويبهر [(١)]

بهاليلُ منهم جعفرٌ وابن أمّه   علىٌّ ومنهم أحمد المتخير [(٢)]

وحمزة والعباس منهم ومنهم   عَقيل وماء العود من حيث يعصر [(٣)]

بهم تُفرَج اللأواء فى كل مأزِق   عَماس إذا ما ضاق بالناس مصدر [(٤)]

هُم أولياء الله أنزل حكمَه   عليهم وفيهم ذا الكتابُ المطهَّرُ

---

(١) الرضام : الحجارة . الطود : الجبل . يروق : يعلو .

(٢) البهلول : السيد الوضىء الوجه .

(٣) يعصر : يمطر .

(٤) اللأواء : الشدة . العماس : المظلم . يريد الظلام من كثرة النقع المثار فى الحرب .

فتح مكة

فى شهر رمضان سنة ثمان

ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، بعد بَعثه إلى مؤتة ، جمادى الآخرة ورجبا .

ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عَدْت على خزاعة ، وكان الذى هاج ما بين بكرٍ وخزاعة أنّ رجلاً من بنى الحضرمىّ ، واسمه مالك بن عباد — وحِلف الحضرمىّ يومئذ إلى الأسود بن رَزْن — خرج تاجراً ، فلما توسّط أرضَ خزاعة عدَوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجلٍ من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزْن الدِّيلى : سلمى ، وكلثوم ، وذؤيب فقتلوهم عند أنصاب الحرم [1] .

فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، كان فيما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرطَ لهم : أنه من أحب أن يدخل فى عَقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم

---

(١) أنصاب الحرم : حجارة تجعل علامة بين الحل والحرم .

فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

فلما كانت الهدنةُ اغتنمها بنو الدِّيل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود ابن رزْن .

فخرج نَوفل بن معاوية الدِّيلىّ ، فى بنى الدِّيل ، وهو يومئذٍ قائدُهم ، وليس كلُّ بنى بكرٍ تابِعه ، حتّى بيَّتَ خُزاعة وهم على الوتير : ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلًا ، وتحاوزوا[1] واقتتلوا ، ورفدت بنى بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش مَن قاتل بالليل مستخفيا ، حتّى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم ، إلهكَ إلهك ! فقال كلمةً عظيمة : لا إله له اليوم[2] ! يا بنى بكر ، أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرِقون[3] فى الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟!

وقد أصابوا منهم ليلةَ بيّتوهم بالوتير رجلا يقال له « منبّه » وكان منبّه رجلًا مفئودا[4] ، خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم ابن أسد ، فقال له منبه : يا تميم ، انْجُ بنفسك ، فأمّا أنا فوالله إنّى لميّت ،

(١) تحاوزوا ، يعنى انحاز كل منهم إلى قبيلة .

(٢) أى لا إله لنوفل ، نطق بها كفرا .

(٣) ويروى : « لتسرفون » بالفاء .

(٤) المفئود : الضعيف الفؤاد .

قتلونى أو تركونى ، لقد انبتّ فؤادى ![1]

وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منها فقتلوه .

فلما دخلت خزاعة مكة لجئوا إلى دار بُديل بن ورقاء ، ودار مولىً لهم يقال له رافع .

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ، بما استحلُّوا من خزاعة وكانوا فى عهده وعقده ، خرج عمرو بن سالِم الخزاعىّ ثم أحد بنى كعب ، حتّى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مّما هاج فتحَ مكة ، فوقف عليه وهو جالسٌ فى المسجد بين ظهرانَىِ الناس ، فقال :

يارب إنِّى ناشـدٌ محمداَ ـ حِلفَ أبينا وأبيه الأتلدا[2]

قد كنتم وُلداً وكنَّا والدا ـ ثمتَ أسلمْنا فلم ننزِع يدا

فانصُر هداك الله نصراً أعتدا[3] ـ وادعُ عبادَ الله يأتوا مَددا

فيهم رسولُ الله قد تجرَّدا ـ إن سِيمَ خسفاً وجههُ تربَّدا[4]

---

(١) انبت انبتاتا : انقطع .

(٢) ناشد : طالب ومذكر . الأتلد : القديم .

(٣) أعتد ، من العتيد ، وهو الحاضر .

(٤) سيم الخسف : كلف الذل . تربد : تغير إلى السواد .

فى فَيْلقٍ كالبحر يَجرى مزْبدا إنَّ قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضـوا ميثاقَكَ المؤكَّدا وجعلوا لى فى كَدَاءٍ رُصَّدا[1]
وزعموا أنْ لست أدعو أحدا وهم أذَلُّ وأقلُّ عـددا
هم بيَّتونا بالوتير هُجَّدا وقتلونا ركَّعا وسجَّدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصرتَ ياعمرو بنَ سالم !

ثم عَرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنانٌ[2] من السماء فقال إنَّ هذه السحابةَ لتَستهِـلُّ بنصر بنى كعب .

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء فى نفر من خُزاعةَ حتّى قدموا عـلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريشٍ بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكَّة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليشدّ العَـقد ويزيدَ فى المدّة .

ومضى بُدَيل بن ورقاء وأصحابُه حتى لَقُوا أبا سفيان بن حرب بعُسْفان[3] ، قد بعثْته قريشٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشدَّ العقد ويزيد فى المدَّة ، وقد رِهبوا الذى صنعوا . فلمّا لقى أبو سفيان

---

(١) كداء : موضع بأعلى مكة . رصدا : جمع راصد ، وهو المرتقب .
(٢) العنان : السحاب .
(٣) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة .

بُدَيل بنَ ورقاء قال : من أين أقبلتَ يا بديل ؟ وظنَّ أنّه قد أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . قال : تسَـيَّرت فى خزاعة فى هذا الساحلِ وفى بطن هذا الوادي . قال : أَوَ ماجئتَ محمداً ؟ قال : لا . فلما راح بُديلٌ إلى مكّة قال أبو سفيان : لئن جاء بُديلٌ المدينةَ لقد علفَ بها النّوى ! فأتَى مَبْرَكَ راحلته فأخـذ من بعرها ففتّه فوَجد فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديلٌ محمدا !

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أمّ حبيبة بنتِ أبي سفيان ، فلما جلسَ على فِراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال : يا بُنيّـة ، ما أدرى ، أرغبتِ بي عن هـذا الفراش ، أم رغبتِ به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت رجلٌ مشرك نجس ، ولم أحبَّ أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : والله لقد أصابك يا بُنية بعدى شرّ !

ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلَّمه فلم يردَّ عليه شيئا ، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلِّم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أنا بفاعل !

ثم أتى عمر بن الخطّاب فكلّمه فقال : أأنا أشفع لـكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله لو لم أجدْ إلاّ الذَّرّ[1] لجاهدتكم به !

---

(١) الذر : صغار النمل .

ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه، وعنده فاطمة بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها، وعندها حسنُ بن علىّ غلامٌ يدبُّ بين يديها، فقال: يا علىّ، إنك أمسُّ القوم بى رِحماً، وإنّى قد جئتُ فى حاجةٍ فلا أرجعنَّ كما جئت خائبا، فاشفع لى إلى رسول الله. فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمرٍ ما نستطيع أن نكلّمه فيه.

فالتفتَ إلى فاطمة فقال: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمرى بُنيّك هذا فيُجيرَ بين الناس، فيكونَ سيدَ العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنَىَّ ذاك: أن يُجير بين الناس، وما يُجير أحدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: يا أبا الحسن، إنى أرَى الأمور قد اشتدَّت علىّ فانصحنى. قال: والله ما أعلم لك شيئاً يُغنى عنك شيئا، ولكنَّك سيِّد بنى كنانة، فقمْ فأجِرْ بين الناس، ثم الحقْ بأرضك. قال: أوَ ترى ذلك مُغْنياً عنّى شيئا؟! قال: لا والله ما أظن، ولكنى لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان فى المسجد فقال: أيُّها الناس، إنِّى قد أجَرتُ بين الناس.

ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم على قريشٍ قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمدا فكلَّمته، فوالله ما ردَّ علىَّ شيئا؛ ثم جئت ابنَ أبى قُحافة

فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابنَ الخطَّاب فوجدته أدنَى العدوّ، ثم جئت عليا فوجدته ألينَ القوم ، وقد أشار عليَّ بشيء صنعته فوالله ما أدرى هل يُغنى ذلك شيئاً أم لا ؟

قالوا : وبم أمَرك ؟ قال : أمَرنى أن أُجيرَ بين الناس ، ففعلت. قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويلك ! والله إنْ زادَ الرجلُ على أنْ لعِب بك ، فما يُغْنى عنك ما قلت ؟ ! قال : لا والله ما وجدتُ غيرَ ذلك .

وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجَهاز ، وأمر أهلَه أن يجهِّزوه ، فدخل أبو بكرٍ على ابنته عائشة رضى الله عنها وهى تحرِّك بعض جَهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أي بُنَيَّة ، أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهِّزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهَّزْ . قال : فأين تَرَيْنَه يُريد ؟ قالت : لا والله ما أدرى .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمَ الناسَ أنه سائرٌ إلى مكّة، وأمرهم بالجِدّ والتهيُّؤ ، وقال: « اللهمّ خُذ العيون والأخبارَ عن قريش حتّى نَبْغَتَها[1] فى بلادها » . فتجهَّز الناس.

ولما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطبُ بن أبى بَلْتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأةً ، وجعل

---

(١) نبغتها ، أى نفجؤها .

لها جُعْلًا على أن تبلّغه قريشا؛ فجعلته فى رأسها ثم فَتلت عليه قرونَها[1] ثم خرجت به.

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليّ بنَ أبى طالب والزبير بن العوّام رضى الله عنهما فقال: أدركا امرأةً قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتابٍ إلى قريش يُحذّرهم ما أجمعنا له فى أمرهم.

فخرجا حتى أدركاها بالخُلَيقة، خُلَيقة بنى أحمد، فاستنزلاها، فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيئا، فقال لها على بن أبى طالب: إنى أحلف بالله ما كُذِب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِبنا، ولتُخرِجِنّ لنا هذا الكتابَ أو لنكشفنّكِ!

فلمّا رأت الجِدَّ منه قالت: أعرِضْ. فأعرضَ فحلّت قرونَها، فاستخرجت الكتابَ منها، فدفعته إليه، فأتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم.

فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاطباً فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟ فقال: أما والله إنى لمؤمنٌ بالله ورسوله، ما غيّرت ولا بدّلت، ولكنّى كنت امرأً ليس لى فى القوم من أصلٍ ولا عشيرة، وكان لى بين أظهرهم ولدٌ وأهل، فصانعتُهم عليه. فقال عمر بن الخطاب:

---

(١) القرون: الضفائر.

يا رسول الله ، دعْنى فلأضربْ عنقَه ، فإنَّ الرجلَ قد نافق ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر ، لعلّ الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر يومَ بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم .

فأنزل الله تعالى فى حاطب : (يأيُّها الذين آمَنُوا لا تتَّخِذوا عدُوِّى وعدوّكم أولياءَ تُلقُون إليهمْ بالمودّة) إلى قوله : (قد كانت لكم أسوةٌ حَسَنةٌ فى إبراهيمَ والذينَ مَعَهُ إذْ قالوا لِقَومهمْ إنّا بُرَآء مِنكم ومّما تَعبدُونَ مِن دون الله كفرنا بكم ، وبَدَا بيننَا وبينكم العَداوةُ والبَغْضاء أبداً حتى تُؤمنوا بالله وحدَه) إلى آخر القصة .

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رُهم الغِفارى ، وخرج لعشرٍ مضَين من رمضان ، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناسُ معه ، حتى إذا كانوا بالكُديد ، بين عسفان وأمَج ، أفطرَ .

ثم مضى حتى نزلَ مرَّ الظَّهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، فسبعت سُليم ، وبعضهم يقول : ألّفت[1] سليم ، وألّفت مُزينة ، وفى كل القبائل عددٌ وإسلام . وأوعبَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد .

---

(١) سبعت : بلغت سبعمائة ، وألفت : بلغت ألفا .

فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظهران وقد عُمِّيت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يدرون ما هو فاعل.

وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبُديل بن ورقاء، يتحسَّسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به. وقد كان العبّاس بن عبد المطّلب لقى رسولَ الله ببعض الطّريق، وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة قد لقيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أيضا بنِيق العُقاب، فيما بين مكّة والمدينة، فالتمسا الدخولَ عليه، فكَلّمَته أم سلمَة فيهما، فقالت: يا رسول الله. ابن عمك وابن عمّتك وصهرك. قال: لا حاجة لى بهما. أما ابن عمى فهتكَ عِرضى، وأما ابنُ عمّتى وصهرى فهو الذى قال بمكّة ما قال.

فلمّا خرج الخبرُ إليهما بذلك ومع أبى سفيان بُنَىٌّ له، فقال: والله ليأذننّ لى أو لآخذنّ بُنَىِّ هذا، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموتَ جوعا وعطشا!

فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رقَّ لهما، ثم أَذِن لهما فدخلا عليه فأسلما، وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله فى إسلامه، واعتذر إليه مما كان مضى منه. فقال:

لعمركَ إنّى يومَ أحملُ رايةً ... لِتغلبَ خَيْلُ اللاتِ خيلَ محمدِ[1]
لـكالمُدلج الحيرانِ أظلمَ ليلُه ... فهذا أوانى حين أُهدَى وأهتدى[2]
هدى بى هادٍ غيرُ نفسى ونالنى ... مع الله من طَرَّدتُ كلَّ مطرَّدِ
أصُدُّ وأنأى جاهداً عن محمدٍ ... وأدعى وإن لم أنتسب من محمدِ[3]
هُمُ ما همُ مَن لم يقل بهواهمُ ... وإن كان ذا رأىٍ يُلَمْ ويُفنَّدِ[4]
أريدُ لأُرضيهمْ ولستُ بلائطٍ ... مع القوم ما لم أُهدَ فى كلِّ مقعدِ[5]
فقل لثقيف لا أريد قتالَها ... وقل لثقيف تلك: غَيرى أوعِدى[6]
فما كنتُ فى الجيش الذى نال عامراً ... وما كان عن جَرَّا لسانى ولا يدى[7]
قبائلُ جاءت من بلادٍ بعيدةٍ ... نزائعَ جاءت من سَهَامٍ وسُرْدَدِ[8]

فزعموا أنه حين أنشد رسولَ الله صلى الله عليه وسلمَ قولَه: « ونالنى مع الله من طرّدت كلَّ مطرّد » ضربَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى صدره وقال: أنت طرّدتنى كل مطرّد!

---

(١) أحمل راية: أى أقود الناس للحرب. خيل اللات: يعنى جيوش الكفر والوثنية.

(٢) المدلج: الذى يسير ليلا.

(٣) أنأى: أبعد.

(٤) يفند: يكذب.

(٥) لائط: ملصق.

(٦) أوعدى، من الإيعاد.

(٧) عن جرا: أى من جراء ذلك.

(٨) سهام وسردد: موضعان فى بلاد عك.

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظهران قال العباس ابن عبد المطلب : واصباحَ قريش ! والله لئن دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكّة عنوةً قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنّه لهلاكُ قريش إلى آخر الدهر !

قال العباس : فجلستُ على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم : البيضاء ، فخرجت عليها حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلّي أجد بعض الحطّابة ، أو صاحب لبن ، أو ذا حاجة ، يأتى مكّة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخُلها عليهم عنوةً .

قال : فوالله إنّى لأسيرُ عليها وألتمس ما خرجتُ له إذْ سمعتُ كلام أبى سفيان وبُديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نِيرانًا قطُّ ولا عسكرا . ويقول بُديل : هذه والله خُزاعة حَمَشَتْها الحرب[1] . ويقول أبو سفيان : خزاعة أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانَها وعسكرها !

قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ! فعرفَ صوتى فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم . قال : مالكَ فداك أبى وأمى ؟ قلتُ : ويْحكَ يا أبا سفيان ! هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الناس ، واصباحَ قريشٍ والله ! قال : فما الحيلة ؟ فداك أبى

---

(١) حمشتها الحرب : أحرقتها وصليت بنارها .

وأمي . قلتُ : والله لئن ظفر بك ليضربَنَّ عنقك ، فاركبْ في عجز هذه البغلة حتى آتيَ بك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأستأمنَه لك .

فركبَ خلفي ورجع صاحباه . فجئت به كلما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين قالوا : مَن هذا ؟ فإذا رأوا بغلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته .

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : من هذا ؟ وقام إليَّ ، فلما رأى أبا سفيان على عُجز الدابَّة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمدُ لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد .

ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وركضْتُ البغلةَ فسبقتُه بما تسبق الدابةُ البطيئةُ الرجلَ البطيء . فاقتحمتُ عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر فقال : يا رسولَ الله ، هذا أبو سفيان قد أمكنَ اللهُ منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضربْ عنقَه .

قلتُ : يا رسول الله ، إنِّي قد أجرته ! ثم جلستُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذتُ برأسه فقلت : والله لا يناجيه الليلةَ دوني رجل !

فلما أكثر عمرُ فى شأنه قلت : مهلاً ياعمر ، فوالله أنْ لو كان من بنى عدىِّ بن كعب ما قلتَ هذا ، ولكنّك قد عرفتَ أنه من رجال بنى عبد مناف .

فقال: مهلًا يا عباس ، فَلإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إلىَّ من إسلام الخطّاب لو أسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبْ به يا عبَّاسُ إلى رحلك ، فإذا أصبحتَ فأتنى به .

فذهبتُ به إلى رحلى فبات عندى ، فلما أصبحَ غدوتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأْنِ لك[1] أن تعلم أنَّه لا إله إلا الله؟ قال : بأبى أنت وأمِّى ، ما أحلمَك وأكرمَك وأوصلَك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنِّى شيئاً بعدُ ! قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمِّى ، ما أحلمك وأكرمَك وأوصلك ! أمَّا هذه والله فإنَّ فى النفس منها حتى الآن شيئاً ! فقال له العباس : ويحك ! أسلمْ واشهدْ أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمدا رسولُ الله ، قبل أن تُضرب عنقك .

قال : فشهد شهادة الحقّ فأسلم .

قال العباس : قلتُ يارسول الله ، إنَّ أبا سفيانَ رجلٌ يحبُّ هذا

(١) ألم يأن لك : أى ألم يحن لك .

الفخر فاجعلْ له شيئا . قال : « نعمْ ، مَن دخَلَ دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعبَّاس احبسْه بِمضيق الوادى عند خَطْم الجبل[1] حتّى تمرَّ به جنودُ الله فيراها .

قال : فخرجت حتّى حَبَسْتُه بمضيق الوادى حيث أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه .

ومرَّت القبائل على راياتها ، كلما مرَّت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سُليم . فيقول : مالى ولسُلَيم . ثم تمرُّ القبيلة فيقول : ياعباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مُزَينة . فيقول : مالى ولمزينة . حتى نفذت القبائل ، ما تمرُّ به قبيلةٌ إلَّا يسألُنى عنها ، فإذا أخبرتُه بهم قال : مالى ولبنى فلان ، حتّى مرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته « الخضراء »[2] ، فيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم ، لا يُرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحانَ الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَل ولا طاقة ! والله يا أبا الفضل لقد أصبح

---

(١) خطم الجبل : أنف يخرج منه يضيق به الطريق .

(٢) ابن هشام : إنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

مُلك ابنِ أخيك الغداةَ عظيما ! ! قلت : يا أبا سفيان ، إنَّها النبوَّة . قال : فنَعم إذن . قلت : النجاءَ[1] إلى قومك !

حتّى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمدٌ قد جاءكم فيما لا قبَل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ! .

فقامت إليه هند بنتُ عتبة ، فأخذتْ بشاربه فقالت : اقتلوا الحَميت الدَّسِم الأحمس[2] ، قُبِّح من طليعة قوم[3] !

قال، ويلكم ،لا تغرَّنكم هذه من أنفسكم ، فإنّه قد جاءكم ما لا قِبل لكم به ، فمن دخلَ دار أبى سفيان فهو آمن !

قالوا : قاتلك الله ، وما تُغنِى عنّا دارُك ؟

قال : ومن أغلقَ عليه بابهَ فهو آمن ، ومن دَخل المسجدَ فهو آمن !

فتفرّق الناسُ إلى دُورهم وإلى المسجد .

عن عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طُوًى وقف على راحلته معتجراً[4] بشُقّة بُرد

---

(١) النجاء : الإسراع .

(٢) الحميت : زق السمن . الدسم : الكثير الودك . الأحمس : الشديد اللحم شبهه بالزق لضخمه وسمنه .

(٣) الطليعة : الذى يحرس القوم .

(٤) الاعتجار : التعمم بغير ذؤابة .

حِبَرةٍ[1] حمراء، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعُ رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إنّ عثنونه ليكاد يمسُّ واسطةَ الرحل.

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت:

لما وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذي طُوى قال أبو قحافة لابنةٍ من أصغر ولده: أي بُنية، اظهري بي على أبي قُبيس[2] — وقد كُفَّ بصره — فأشرفَتْ به عليه فقال: أي بنيّة ماذا ترين؟ قالت: أري سواداً مجتمعا. قال: تلك الخيل. قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدَىْ ذلك مقبلاً ومدبرا. قال: أي بنيّة، ذلك الوازع — يعنى الذى يأمر الخيل ويتقدّم إليها — ثم قالت: قد والله انتشرَ السّواد. فقال: قد والله إذن دُفعت الخيل، فأسرعى بي إلى بيتى.

فانحطّت به، وتَلْقاه الخيلُ قبل أن يصلَ إلى بيته، وفى عنق الجارية طَوقٌ من وَرِق[3]، فتلقّاها رجل فيقتطعه من عنقهَا.

قالت: فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد أتى أبو بكرٍ بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الشقة: النصف. والحبرة: ضرب من برود اليمن.

(٢) اظهرى بى: اصعدى. أبو قبيس: جبل بمكة.

(٣) الطوق: القلادة. الورق: الفضة.

قال : هلّا تركتَ الشيخَ فى بيته حتى أكونَ أنا آتيه فيه ؟ ! قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحقُّ أن يمشىَ إليك من أن تمشى إليه أنت .

فأجلسَه بين يديه ، ثم مسحَ صدره ثم قال له : أسلم . فأسلم .

فدخل به أبو بكرٍ وكانّ رأسَه ثَغامة[1] فقال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم : غيِّروا هذا من شعره .

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أنشُد الله والإسلامَ طوقَ أختى ! فلم يجبْه أحد ، فقال : أى أُخَيّة ، احتسبى طوقك ، فوالله إنّ الأمانة فى الناس اليومَ لقليل !

* * *

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحنين والطائف : شعارُ المهاجرين : يا بنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله ، وشعار الأوس : يا بنى عُبيد الله .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخُلوا مكة ألاّ يُقاتلوا إلاّ مَن قاتلَهم ، إلاّ أنه قد عهِد فى نفرٍ سمّاهم ، أمَرَ بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد أخو بنى عامر بن لؤى . وإنّما أمر رسولُ

---

(١) الثغامة : واحدة الثغام ، نبت أشد ما يكون بياضاً إذا أمحل ، يشبهون به الشيب .

الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى ، فارتدَّ مشركا راجعاً إلى قريش ، ففرَّ إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغَيَّبه حتى أتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأنَّ الناس وأهل مكة ، فاستأمن له . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ثم قال : نعم . فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمتُّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجلٌ من الأنصار : فهلاّ أومأت إلىّ يا رسول الله ؟ قال : إنّ النبىّ لا يقتُل بالإشارة[1] .

و « عبد الله بن خَطَل » ، رجل من بنى تيم بن غالب . إنّما أمر بقتله أنه كان مُسلِماً ، فبعثَه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدِّقا[2] وبعثَ معه رجلاً وكان معه مولى له يخدُمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبحَ له تيسا فيصنَع طعاما ، فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا . فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا .

وكانت له قينتان : فَرْتنى وصاحبتُها . وكانتا تغنِّيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

---

(١) قال ابن هشام : ثم أسلم بعد فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

(٢) المصدق : جامع الصدقات ، وهى الزكوات .

و « الحويرث بن نُقَيذ » وكان ممن يؤذيه بمكَّة .

و « مِقْيَس بن حُبابة » . وإنَّما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله لقتل الأنصارى الذى كان قد قتل أخاه خطأ ، ورجوعِه إلى قريش مشركا .

و « سارَة » مولاة لبنى عبد المطلب .

و « عكرمة بن أبى جهل » .

وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة .

فأمَّا عِكرمة فهربَ إلى اليمن ، وأسلمت امرأتُه أمُّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمَّنه ، فخرجتْ فى طلبه إلى اليمَن حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم .

وأما عبد الله بن خَطَل فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو بَرْزَة الأسلمىّ ، اشتركا فى دَمه .

وأما مِقْيَس بن حُبابة فقتله نُميلة بن عبد الله ، رجلٌ من قومه ، فقالت أختُ مِقيس فى قتله :

لعمرِى لقد أخزى نُميلةُ رهطه ... وفجَّعَ أضياف الشتاء بمقيس

فلله عَينا مَن رأى مِثلَ مقيسٍ ... إذا النفساء أصبحت لم تُخَرَّس (١)

(١) لم تخرس : لم يصنع لها طعام الولادة ، واسمه الخرس والخرسة ، بضم الخاء . أرادت شدة الزمان .

وأما قينتا ابن خطل فقُتلت إحداهما، وهربت الأخرى حتى استؤمِن لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد، فأمّنها.

وأمّا سارة فاستؤمن لها فأمّنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرساً، فى زمن عمر بن الخطاب، بالأبطح فقتلها.

وأما الحويرث بن نُقَيذ فقتله على بن أبى طالب.

* * *

عن أم هانئ ابنة أبى طالب قالت:

لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فرّ إلىّ رجلان من أحمائى من بنى مخزوم — وكانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى — قالت: فدخل علىّ علىٌّ بن أبى طالب أخى فقال: والله لأقتلنّهما! فأغلقت عليهما بابَ بيتى، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جَفنةٍ إنّ فيها لأثرَ العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسلَ أخذ ثوبه فتوشَّحَ به، ثم صلَّى ثمانىَ ركعات من الضُّحى، ثم انصرفَ إلىّ فقال: مرحباً وأهلاً يا أم هانئ، ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علىٍّ. فقال: قد أجَرْنا من أجرتِ، وأمّنّا من أمّنت، فلا يقتلْهما!

عن صفية بنت شيبة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطافَ به سبعاً على راحلتِه

يستلم الركن بمِحجَنٍ[1] فى يده ، فلما قضَى طوافه دعا عثمانَ بن طَلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففُتِحت له فدخلها ، فوجد فيها حمامةً من عِيدان ، فكَسَرَها بيده ثم طرَحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفَّ له الناس[2] فى المسجد .

قال ابن إسحاق :

فحدّثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال:

لا إله إلّا الله وحدَه لا شريك له ، صدَقَ وعدَه ، ونصر عبدَه ، وهزمَ الأحزابَ وحدَه ، ألَا كلُّ مأثُرةٍ أو دم أو مالٍ يُدَّعَى فهو تحت قدمىَّ هاتين ، إلا سَدانة البيت[3] وسِقاية الحاجّ .

ألَا وقتيل الخطأ شبهِ العمد بالسَّوط والعصا ، ففيه الدية مغلَّظة ، مائةٌ من الإبل ، أربعون منها فى بطونها أولادها .

يا معشرَ قريش ، إنَّ الله قد أذهبَ عنكم نخوةَ الجاهلية وتعظُّمَها بالآباء . الناس من آدم وآدمُ من تراب .

---

(١) المحجن : عود معوج الطرف ، يمسكه الراكب للبعير فى يده .

(٢) استكفوا : استجمعوا .

(٣) سدانة البيت : خدمته .

ثم تلا هذه الآية : (يا أيُّها النّاسُ إنّا خلقْناكم من ذكرٍ وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائلِ لتعارَفوا ، إنَّ أكرَمكم عِند الله أتقاكم) .

ثم قال : يا مَعشر قُريش ، ما تُرون إنّى فاعلٌ فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخٌ كريم وابنُ أخٍ كريم !

قال : اذهبوا فأنتم الطُّلقاء .

ثم جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فقام إليه علىٌّ بن أبى طالب ومِفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يا رسولَ ، اجمع لنا الحِجابة مع السِّقاية صلَّى اللهُ عليك . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمانُ بن طلحة ؟ فدعِىَ له . فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يومُ برٍّ ووفاء .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دخل البيتَ يومَ الفتح ، فرأى فيه صُورَ الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مُصوَّراً ، فى يده الأزلام يُستَقسمُ بها . فقال : قاتَلهم الله ! جعلوا شيخَنا يستقسم بالأزلام[1] ! ما شأن إبراهيم والأزلام ! (ما كان إبراهيمُ يهُودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) .

---

(١) الأزلام : السهام التى كانوا يستقسمون بها ، يستشيرونها فى أمورهم .

ثم أمر بتلك الصور كلِّها فطمست .

وأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذِّن ، وأبو سفيان بن حرب وعتّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوسٌ بفناء الكعبة . فقال عتّاب بن أَسِيد : لقد أكرم الله أَسِيداً ألا يكون سمِع هذا فيسمعَ منه ما يَغيظه ! فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنّه مِحقٌّ لا تبعته ! فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا ، لو تكلَّمتُ لأخبَرَتْ عنِّى هذه الحصى !

فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : قد علمت الذى قلتم . ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنّك رسولُ الله ، ما اطَّلَعَ على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخبرَكَ !

قال ابن هشام :

عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة يومَ الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودةٌ بالرَّصاص ، فجعل النبُّى صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول : (جاء الحقُّ وزهَقَ الباطل [1] إن الباطل كان زَهُوقا) . فما أشار إلى صنمٍ منها فى وجهه إلّا وقعَ لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلّا وقع لوجهه ، حتَّى ما بقى منها صنمٌ إلّا وقع .

---

(١) زهق : اضمحل وبطل .

وحدَّثني من أثق به من أهل الرواية أنَّ فضالة بن عمير الليثي أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوفُ بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول صلى الله عليه وسلم: أفَضالة؟ قال: نَعم، فَضالةُ يا رسول الله. قال: ماذا كنتَ تحدث به نفسك؟ قال: لاشيء، كنت أذكر الله! فضحِك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: استغفرِ الله. ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه. فكان فضالة يقول: والله مارفع يده عن صدري حتَّى ما مِن خلق الله شيء احب إلى منه.

قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بأمرأةٍ كنت أتحدَّث إليها فقالت: هلمَّ إلى الحديث. فقلت: لا. وانبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يأبى عليكِ الله والإسلامُ

لو مَا رأيتِ محمداً وقبيله بالفتح يوم تكسَّر الأصنام

لرأيتِ دين الله أضحى بيِّناً والشركُ يغشى وجهَه الإظلام

قال ابن إسحاق:

وكان جميع مَن شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بني سليم سبعمائة، ويقول بعضهم: ألف. ومن بني غِفار أربعمائة، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد.

وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسّان بن ثابت الأنصارى :

عَفَت ذات الأصابع فالجِواءُ ... إلى عَذْراء منزلها خلاءُ (١)
ديارٌ من بنى الحسحاس قفر ... تعفّيها الروامسُ والسماءُ (٢)
وكانت لا يزال بها أنيسٌ ... خِلالَ مُروجها نَعَمٌ وشاءُ (٣)
فدعْ ذا ولكن مَن لِطَيْفٍ ... يؤرّقنى إذا ذهب العِشاءُ
لشعثاء التى قد تيّمتْه ... فليس لقلبه منها شفاءُ
كأنَّ خبيئةً من بيت رأس ... يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ (٤)
إذا ما الأشربات ذُكِرن يوماً ... فهنّ لطيِّب الراح الفداءُ
نولّيها الملامَةَ إن ألمْنا ... إذا ما كان مَغْثٌ أو لحاءُ (٥)
ونشربها فتتركنا ملوكاً ... وأُسداً ما ينهنها اللقاءُ (٦)

---

(١) عفت : تغيرت ودرست . ذات الأصابع والجواء : موضعان بالشام وبالجواء كان منزل الحارث بن أبى شمر الغسانى ممدوح النابغة . وعذراء : قريبة على بريد من دمشق

(٢) بنو الحسحاس : حى من بنى أسد . الروامس : الرياح تطمس الآثار . السماء : المطر .

(٣) النعم : المال الراعى ، وأكثر ما يطلق على الإبل . والشاء : جمع شاة .

(٤) الخبيئة : الخمر المصونة المضنون بها . بيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيدة .

(٥) ألمنا : فعلنا ما نستحق عليه اللوم . المغث : الضرب باليد . اللحاء : السباب .

(٦) ينهنها : يزجرنا ويردنا .

عدِمنا خيلنَا إن لم ترَوها ... تُثِير النقعَ موعدُها كَدَاء[1]
ينازِعنَ الأعنّةَ مُصغيات ... على أكتافها الأسلُ الظِّماء[2]
تظلُّ جيادُنا متمطِّرات ... يلطّمهُنَّ بالخُمر النساء[3]
فإمّا تُعرِضوا عنّا اعتمرنا ... وكان الفتحوانكشفَ الغِطاء
وإلّا فاصبروا لجلادِ يومٍ ... يُعين الله فيه من يشاء
وجبريلٌ رسولُ الله فينا ... وروحُ القُدس ليس له كِفاء[4]
وقال الله قد أرسلتُ عبداً ... يقول الحقّ إنْ نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدّقوه ... فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيّرتُ جنداً ... هم الأنصارُ عُرضَتُها اللقاء[5]
لنا فى كلّ يومٍ من معدٍّ ... سِبابٌ أو قتال أو هجاء
فنَحكمُ بالقوافى مَن هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء[6]
ألا أبلغْ أبا سفيانَ عنّى ... مغلغَلَةً فقد برِح الخفاء

---

(١) النقع : الغبار : كداء . ثنية بأعلى مكة .

(٢) الأعنة :جمع عنان ، وهو اللجام . الأسل : الرماح . الظماء : الذوابل .

(٣) متمطرات : مسرعات . الخمر : جمع خمار .

(٤) ليس له كفاء : الكفء والنظير والمثيل .

(٥) عرضتها اللقاء ، أى عادتها أن تتعرض للقاء ، فهى قادرة عليه .

(٦) نحكم : نمنع ونكف .

بأنَّ سيوفنا تركتك عبداً   وعبد الدار سادتُها الإماء
هجوتَ محمداً وأجبتُ عنه   وعِند الله فى ذاكَ الجزاء
أتهجوه ولستَ له بكفء   فشرُّكما لخيركما الفداء
هجوتَ مباركاً براً حنيفا   أمينَ الله شيمتُه الوفاء(١)
أَمَن يهجو رسولَ الله منكم   ويمدحُه وينصرُه سواء
فإنَّ أبى ووالدَه وعِرضى   لعرضِ محمدٍ منكم وِقاء
لسانى صارمٌ لا عيبَ فيه   وبحرى لا تكدِّره الدِّلاء

---

(١) الحنيف : المسلم ، سمى حنيفاً لأنه مال عن الباطل إلى الحق
الشيمة : الطبيعة .

غزوة حنين

فى سنة ثمان ، بعد الفتح

ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوفٍ النصرىّ ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلُّها، واجتمعت نصر وجُشَمُ كلها ، وسعد بن بكر ، وناسٌ من بنى هلال وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عيلان إلاّ هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازنَ كعبٌ ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحدٌ له اسم .

وفى بنى جشم دريد بن الصِّمة شيخ كبير ليس فيه شىء إلا التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرَّبا . وفى ثقيف سيّدان لهم . وفى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتّب . وفى بنى مالك ذو الخمار سُبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث . وجِماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى .

فلما أجمع السيرَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس (١) اجتمع إليه الناس وفيهم دُريد بن الصمة فى شِجارٍ له (٢) يُقاد به . فلما نزل قال :

---

(١) أوطاس : وادفى ديار هوازن .

(٢) الشجار : شبه الهودج مكشوف الأعلى .

بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مَجالُ الخيل ، لاحزْنٌ ضِرس[1] ولا سهل دَهْس[2] ، مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء[3] ؟ قالوا : ساقَ مالكُ بن عوفٍ مع الناس أموالَهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك . ودُعىَ له ، فقال : يامالك ، إنّك قد أصبحت رئيسَ قومك ، وإنّ هذا يومٌ كائنٌ له ما بعده من الأيام ! مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سُقتُ مع الناس أموالهم ونساءهم . قال: ولم ذاك ؟ قال: أردت أن أجعل خلفَ كلِّ رجلٍ منهم أهلَه وماله ليقاتل عنهم .

فأنقَضَ به[4] ثم قال : راعى ضأنٍ والله ! وهل يردُّ المنهزمَ شىء ؟ إنها إنْ كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحتَ فى أهلك ومالك .

ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلاب ؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد . قال : غاب الحدُّ[5] والجَدُّ ، ولو كان يومَ علاءٍ ورفعة لم تغبْ عنه كِغب ولا

---

(١) الحزن : المرتفع من الأرض . الضرس : الذى فيه حجارة محددة .

(٢) الدهس : اللين الكثير التراب .

(٣) يعار الشاء : صوتها .

(٤) أنقض به ، من الإنقاض ، وهو أن يلصق لسانه بالحنك ثم يصوت فى حافتيه ، يفعلون ذلك عند إنكار القول أو العمل .

(٥) الحد : الشجاعة والحدة .

كلاب! ولوددتُ أنكم فعلتم ما فعلتْ كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر. قال: ذانك الجذَعانِ[1] من عامر، لا ينفعان ولا يضران! يامالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة[2] بيضةِ هوازن إلى نحور الخيل شيئاً. ارفعهم إلى متمنَّع بلادهم وعُليا قومهم، ثمَّ ألقَ الصُّبَّاء[3] على مُتون الخيل، فإن كانت لك لحِق بك مَن وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزتَ أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل ذلك، إنَّك قد كبرتَ وكبر عقلُك! والله لتطيعُنَّني يا معشر هَوازنَ أولاتكئنَّ على هذا السيف حتَّى يخرجَ من ظهرى — وكره أن يكون لدريد بن الصّمة فيها ذكر أو رأى — فقالوا: أطعناك. فقال دريد بن الصمة: هذا يومٌ لم أشهدْه ولم يفُتنى.

يا ليتنى فيها جذَعْ[4] أخُبُّ فيها وأضَعْ[5]

أقُود وَطْفاء الزَّمعْ[6] كأَنَّها شاةٌ صدَعْ[7]

---

(١) الجذع: الضعيف فى الحرب، كأنه الجذع من الابل.

(٢) البيضة: الجماعة.

(٣) جمع صابئ، كانوا يسمون المسلمين بذلك لأنهم خرجوا عن دين الوثنية إلى الإسلام.

(٤) الجذع: الشاب.

(٥) الخبب والوضع: ضربان من السير.

(٦) الوطفاء: الطويلة الشعر. الزمع: الشعر الذى فوق مربط القيد.

(٧) الشاة: الوعل. الصدع: الوسط بين العظيم والحقير.

ثم قال مالكٌ للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدُّوا شَدَّة رجلٍ واحد!

ولمَّا سمع بهم نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله بن أبى حَـدْرَد الأسلمىّ، وأمره أن يدخلَ فى الناس فيقيم فيهم حتى يعلمَ علمهم ثم يأتيه بخبرهم. فانطلق ابن حدرد فدخل فيهم فأقام فيهم حتَّى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع من مالك وأمر هوازن ماهم عليه، ثم أقبلَ حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر.

فلما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه السيرَ إلى هوازن ليلقاهم ذُكر له أنَّ عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحا، فأرسل إليه وهو يومئذ مشركٌ فقال: يا أبا أمية، أعِرنا سلاحك هذا نلحق فيه عدوَّنا غداً. فقال صفوان: أغَصْباً يا محمد؟ قال: بل عاريَّة ومضمونةٌ حتَّى نؤدّيها إليك. قال: ليس بهذا بأس!

فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها، ففعل.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم، فكانوا اثنى عشر ألفا. واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب

بن أَسِيد بن أبى العِيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميراً على من تخلّف عنه من الناس . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

عن الحارث بن مالك قال :

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية ، فسرنا معه إلى حُنين، وكانت لكفّار قريشٍ ومن سِواهم من العرب شجرةٌ عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنةٍ فيعلّقون أسلحتَهم عليها ، ويذبحون عندها ويعكُفونَ عليها يوماً ، فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدرةً خضراءَ عظيمة ، فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسولَ الله ، اجعلْ لنا ذات أنواط كما لهم ذاتُ أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر ! قلتم — والذى نفسُ محمد بيده — كما قال موسى لموسى : (اجعلْ لنا إلهاً كما لهم آلهةٌ قال إنّكم قومٌ تجهلون) . إنها السُّنَن، لتركَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم .

عن جابر بن عبد الله قال :

لما استقبلْنا وادى حُنين انحدرنا فى وادٍ من أودية تِهامة أجوف حَطُوط [1] ، إنّما ننحدر فيه انحدارا ، وفى عَماية الصُّبح [2]، وكان القوم

(١) أجوف : متسع. حطوط : منحدر .

(٢) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .

قد سبقونا إلى الوادى ، فكمنوا لنا فى شِعابه وأحنائه[1] ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيّئوا وأعدُّوا ، فوالله ما راعَنا ونحن منحطُّون إلا الكتائبُ قد شدُّوا علينا شَدَّةَ رجلٍ واحد ، وانشمَر الناس[2] راجعين لا يَلوِى أحدٌ على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ثم قال : أين أيُّها الناس ؟ هلُمُّوا إلىّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ! فلأىّ شىءٍ[3] حملت الإبلُ بعضُها على بعض ! فانطلق الناس إلّا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناسُ ورأى مَن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن جُفاة أهل مكّة الهزيمة ، تكلَّم رجالٌ منهم بما فى أنفسهم من الضِّغن ، فقال أبو سفيان بنُ حرب : لا تنتهى هزيمتُهم دون البحر ! وإن الأزلام[4] لمعه فى كنانته .

وصرخ جَبَله بن الحنبل : ألَا بطلَ السحرُ اليوم ! .

---

(١) الأحناء : الجوانب .

(٢) انشمروا : انفضوا وانهزموا .

(٣) أى لشىء عظيم .

(٤) الأزلام : السهام التى كانوا يستقسمون بها ويخضعون لحكمها .

وقال شيبة بن عثمان : قلتُ : اليومَ أدركُ ثأرى من محمد ![1] اليوم أقتل محمداً ! فأدرتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله فأقبل شىء حتى تغشَّى فؤادي فلم أُطِقْ ذاك ، وعلمت أنّه ممنوع منّى .

وحدثنى بعض أهل مكّة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حينَ فصَلَ من مكة إلى حنين ، ورأى كثرةَ مَن معه من جنود الله : لن نُغلَبَ اليومَ من قلّة !

عن العباس بن عبد المطلب قال :

إنى لمعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذٌ بحَكَمَة[2] بغلته البيضاء قد شجرتُها[3] بها ، وكنت امرأً جسيما شديد الصوت ، ورسول الله يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناسَ يَلوون على شىء ، فقال : يا عباس ، اصرخ ، يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السَّمرُة . قال: فأجابوا : لبَّيك لبّيك !

فيذهب الرجل ليثنى بعيرَهُ فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله ،

---

(١) كان أبوه قد قتل يوم أحد .

(٢) الحكمة : اللجام .

(٣) شجرها بها : وضعها فى شجرها ، وهو مجتمع اللحيين .

فيؤمُّ الصوت حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا .

وكانت الدعوى أوَّلَ ما كانت : يا للأنصار ! ثم خلصت أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صُبُراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه ، فنظر إلى مجتَلَد القوم[1] وهم يجتلدون فقال : الآن حَمِىَ الوطيس[2] !

عن جابر بن عبد الله قال :

بينا ذلك الرجل من هوازن ، صاحبُ الراية ، على جمله يصنع ما يصنع ، إذْ هَوَى له على بن أبى طالب رضوانُ الله عليه ورجلٌ من الأنصار يريدانه ، فيأتيه على بن أبى طالب من خلفه ، فضربَ عُرقوبَى الجمل فوقَع على عجزُه ، ووثبَ الأنصارىّ على الرجل فضربَه ضربةً أطنَّ قدمَه[3] بنصف ساقه ، فانجعف[4] عن رحله ، واجتلد الناسُ ، فوالله ما رجعتْ راجعةُ الناسِ من هزيمتهم حتَّى وجدوا الأسارى مكتّفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحارث

---

(١) مجتلد القوم : موضع جلادهم بالسيوف ، حيث تكون المعركة .
(٢) الوطيس : المعركة . وهى كلمة لم تسمع إلا من الرسول .
(٣) أطن قدمه : أطارها وسمع لضربه طنين أو دوى .
(٤) انجعف : سقط سريعاً .

بن عبد المطلب . وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسنَ الإسلام حين أسلم ، وهو آخذٌ بثَفَر بغلته[1] ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابنُ أمِّك يارسول الله !

عن عبد الله بن أبى بكر :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أمَّ سُلَيم بنت مِلحان ، وكانت مع زوجها أبى طلحة ، وهى حازمةٌ وسَطها ببُردٍ لها وإنها لحاملٌ بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جملُ أبى طلحة ، وقد خشيتْ أن يعزُّها الجمل[2] ، فأدنَتْ رأسَه منها ، فأدخلتْ يدَها فى خِزامته[3] مع الخطام ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّ سُليم . قالت : نعم ، بأبى وأنت وأمِّى يا رسول الله ، اقتلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوَ يكفى اللهُ يا أمَّ سُليم ؟ قال : ومعها خِنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذتُه إنْ دنا منّى أحدٌ من المشركين بعَجْته به[4] . يقول

---

(١) الثفر : السير فى مؤخر السرج .

(٢) يعزها : يغلبها .

(٣) الخزامة : حلقة من شعر تجعل فى أنف البعير .

(٤) بعج بطنه بالسكين : شقه وخضخضه فيه .

أبو طلحة : ألا تسمعُ يا رســـولَ الله ما تقول أمُّ سُليم الرُّمَيصاء[1] !

عن أبي قتادة قال :

رأيت يومَ حُنين رجلين يقتتلان : مسلماً ومشركا ، وإذا رجلٌ من المشركين يريد أن يُعين صاحبَه المشركَ على المسلم ، فأتيتُه فضربت يَده فقطعتُها ، واعتنقنى بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلنى حتَّى وجدتُ ريح الدم ؛ وكاد يقتلنى ، فلولا أنَّ الدم نزَفه لقتلنى ، فسقط فضربته فقتلته ، وأجهضَنى عنه القتال[2] ، ومرَّ به رجلٌ من أهل مكَّة فسلبه . فلما وضعت الحربُ أوزارَها وفرغْنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن قَتل قتيلاً فله سَلَبُه » . فقلت : يا رسولَ الله ، والله لقد قتلتُ قتيلاً ذا سلبٍ ، فأجهضَنى عنه القتال فما أدرى مَن استلبه ؟ فقال رجلٌ من أهل مكَّة : صدقَ يارسولَ الله ، وسَلَبُ ذلك القتيلِ عندى ، فأرضِه عنِّى من سَلَبه . فقال أبو بكر الصِّديق رضى الله عنه : لا والله ، لا يرُضيه منه ، تَعمِدُ إلى أسَدٍ من أُسْد الله ، يقاتل عن دين الله ، تقاسِمهُ سلبَه ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدَقَ ، اردُدْ عليه سلبَه .

---

(١) مصغر الرمصاء : من الرمص ، وهو القذى يكون فى العين .

(٢) أجهضنى عنه : شغلنى وضيَّق علىَّ وغلبنى .

قال أبو قتادة :

فأخذتُه منه فبعته فاشتريت بثمنه مَخرَفاً[١] ، فإنّه لأوّل مالٍ اعتقدتُه[٢] .

قال ابن إسحاق :

فلما انهزَمت هوازن استحرّ[٣] القتل من ثقيف فى بنى مالك ، فقُتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخِمار[٤] ، فلما قُتل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتَّى قتل .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكرَ بعضهم بأوطاس ، وتوجَّه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجَّه نحو نخلة إلاَّ بنو غِيَرة من ثقيف ، وتبعت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نَخْلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

---

(١) المخرف : نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر . وما فوق ذلك فهو بستان أو حديقة .

(٢) اعتقدته ، أى ملكته .

(٣) استحر : اشتد .

(٤) ذو الخمار ، هو عوف بن الربيع .

وبعث رسول الله صلى الله علَيه فى آثار من توجهَّ قِبلَ أوطاس أبا عامرٍ الأشعرىّ ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم ، فناوَشوه القتال ، فرُمى أبو عامرٍ بسهم فقُتِل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ففتح الله على يديه وهزمهم .

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف فى فوارسَ من قومه على ثنيةٍ[١] من الطريق وقال لأصحابه : قفوا حتَّى تمضى ضعفاؤكم ، وتلحق أخراكم . فوقف هناك حتىَّ مضى منَ كان لحق بهم من منهزمة الناس .

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس متقصِّفون[٢] عليها فقال : ما هذا ؟ قالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض مَن معه : أدركْ خالداً فقل له : إنّ رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأةً أو عسيفا[٣] .

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إن قدَرتمْ على بِجاد — رجلٍ من بنى سعد بن بكر — فلا يُفلتنَّكم ، وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفِر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء بنت

---

(١) الثنية : موضع مرتفع بين جبلين .
(٢) متقصفون : مزدحمون .
(٣) العسيف : الأجير والعبد المستعان به .

الحارث بن عبد العُزّى أختَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعنَفُوا عليها فى السياق ، فقالت للمسلمين : تعلَّموا والله إنى لأختُ صاحبكم من الرضاعة ! فلم يصدِّقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتُهِى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله ، إنّى أختك من الرضاعة . قال : وما علامة ذلك ؟ قال عضّة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متورِّكتُك[1] . فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه فأجلَسها عليه وخيَّرها وقال: إن أحببتِ فعندى مكرَّمة ، وإن أحببتِ أن أمتِّعك[2] وترجعى إلى قو مك فعلت . فقالت : تمتّعنى وتردُّنى إلى قومى . فمتَّعها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وردّها إلى قومها .

فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول ، وجاريةً ، فزوّجت أحدَهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

قال ابن هشام :

---

(١) توركته : حملته على وركها .

(٢) أمتعك : أعطيك ما يكون به التمتع ، أى الانتفاع .

وأنزل الله عزّ وجلّ فى يوم حنين : (لقد نَصَركم الله فى مواطِنَ كثيرة ويومَ حُنَينٍ إذْ أَعجبتكم كثْرتُكم) إلى قوله : (وذلك جزاء الكافرين) .

قال ابن إسحاق :

ثم جُمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حُنَين وأموالُها ، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغِفارى ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسَّبايا والأموال إلى الجعرانة فَحُبِستْ بها .

غزوة الطائف

فى سنة ثمان

ولمّا قدم فَلُّ ثقيفٍ[1] الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال.

ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عُروة بن مسعود، ولا غَيلان ابن سلمة، كانا بجُرَش يتعلّمان صنعة الدَّبابات[2] والمجانيق[3] والضُّبور[4].

ثمّ سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطّائف حين فرغ من حُنين، فقال كعب بن مالك حين أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السيرَ إلى الطائف:

قضينا من تِهامة كلَّ ريبٍ ... وخيبرَ ثم أجْمَمْنا السيوفا[5]

نخيِّرها ولو نطقت لقالت ... قَواطعهنّ دوَسًا أو ثقيفا

---

(١) الفل: الجماعة المنهزمون.

(٢) الدبابة: آلة من آلات الحرب، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها.

(٣) جمع منجنيق، وهى من آلات الحصار، يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها.

(٤) الضبور: مثل رءوس الأسفاط، يتقى بها فى الحرب عند الانصراف.

(٥) الريب: الشك. أجممنا السيوف: أرحناها.

فلستُ لحاصنٍ إن لم تَرَوها بساحةِ داركم مِنّا ألوفا
وننتزع العُروش ببطن وجٍّ وتصبحْ داركم منكم خلوفا[1]

فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلةَ اليمانية ، ثم على قَرْن ، ثم على المُلَيح ، ثم على بُحرة الرُّغاء من لِيَّة[2] فابتنى بها مسجدًا فصلَّى فيه ، ثم سلك فى طريق يقال لها الضَّيْقة ، ثم خرج منها على نَخْب حتى نزل تحت سِدرة يقال لها : « الصادرة » قريباً من مال رجلٍ من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرج وإما أن نُخربَ عليك حائطك . فأبى أن يخرج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه .

ثمَّ مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره[3] ، فقتل به ناسٌ من أصحابه بالنَّبل ؛ وذلك أن العسكر اقتربَ من حائط الطائف فكانت النَّبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم . فلمَّا أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنَّبل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة ، ومعه امرأتان من

---

(١) العروش : سقوف البيوت . وج : موضع بالطائف . خلوف : تغيب عنها أهلها .

(٢) قرن ، ومليح ، وبحرة الرغاء ، ولية : مواضع بالطائف .

(٣) أى نصب الخيام للجنود .

نسائه ، إحداهما أم سلمة ابنة أبي أمية ، فضرب لهما قبّتين ثم صلّى بين القُبّتين . ثم أقام ، فلمّا أسلمت ثقيف بنى على مصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرُو بن أمية بن وهب مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارية فيما يزعمون ، لا تطلع الشمسُ عليها يوماً من الدهر إلّا سمع لها نقيض[1] ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلهم قتالًا شديدا ، وتراموا بالنَّبل[2] .

حتّى إذا كان يومُ الشَّدخة عند جدار الطائف ، دخل نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبّابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليَخرقوه ، فأرسلتْ عليهم ثَقيفٌ سِكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالًا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

وقد بلغنى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكرٍ الصديق وهو محاصرٌ ثقيفا : يا أبا بكر ، إنّى رأيت أنّى أُهديتْ لى قَعبة[3] مملوءة زبدًا ، فنقرها ديك فهراق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظنّ

(١) النقيض : الصوت .

(٢) قال ابن هشام : « ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق . حدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق رمى أهل الطائف » .

(٣) القعبة : القدح .

ان تدركَ منهم يومَك هذا ما تريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إن خُويلة بنت حكيم السُّلمية ، وهى امرأة عثمان ، قالت : يا رسولَ الله ، أعطِنى إنْ فتح الله عليك الطائف حُلىَّ بادية بنتِ غيلان ، أو حلىّ الفارعة بنت عقيل — وكانتا من أحلى نساء ثقيف[1] — فذُكر لى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإنْ كان لم يؤذن لى فى ثقيف يا خويلة ؟ فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما حديثٌ حدَّثَتْنيه خويلةُ زعمَتْ أنكَ قُلته ؟ قال : قد قلتُه . قال : أوَ ما أُذِن لك فيهم يا رسولَ الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أؤذّن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذَّنَ عمر بالرحيل .

فلمّا استقلَّ الناسُ نادى سعيد بن عُبيد : ألا إنَّ الحىَّ مقيم .

ويقول عيينة بن حِصن : أجَلْ والله مَجَدةً كراما . فقال له رجلٌ من المسلمين : قاتلكَ الله يا عيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر رسول الله ؟ فقال : إنّى والله ما جئت لأقاتل ثقيفًا معكم ، ولكنّى أردت أن يفتح محمدٌ

---

(١) أى من أكثرهن حليا .

الطائف فأصيبَ من ثقيف جارية أتطَّئها ، لعلَّها تلد لى رجلا ، فإنَّ ثقيفاً قومٌ مناكير[1] .

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إقامته ممّن كان محاَصراً بالطائف عبيدٌ ، فأسلموا فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما أسلم أهل الطائف تكلّم نفرٌ منهم فى أولئك العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، أولئك عتقاء الله » .

وكان ممن تكلَّم فيهم الحارث بن كَلَدة .

وجميع من استُشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا : سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجلٌ من ليث .

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القتال والحصار قال بُجَير بن زهير بن أبى سلمى يذكر حُنينا والطائف:

كانت عُلالة يومَ بطن حُنيِّنٍ   وغَداة أوطاسٍ ويوم الأبرق[2]
جَمَعت بإغواء هوازنُ جَمعَها   فتبدَّدوا كالطائر المتمزّق[3]

---

(١) مناكير : ذوى دهاء وفطنة .

(٢) العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال . حنين : تصغير حنين .

(٣) الإغواء : الإضلال . والغى : خلاف الرشد .

لم يمنعوا منّا مقاماً واحداً   إلا جدارَهم وبطنَ الخندق
ولقد تعرَّضنا لكيما يخرجوا   فتحصنوا منّا بباب مغلَق
ترتدُّ حَسْرانًا إلى رجراجةٍ   شهباءَ تلمع بالمنايا فيلقِ[1]
ململومةٍ خضراء لو قذَفوا بها   حَضَناً لظلَّ كأنه لم يخلقِ[2]
مَشْىَ الضِّراء على الهَرَاس كأننا   قُدُرٌ تَفَرَّقُ فى القياد وتلتقى[3]
فى كلِّ سابغةٍ إذا ما استحصنت   كالنِّهى هبَّتْ ريحُه المترقرقِ[4]
جُدْلٌ تَمَسُّ فضولهُنَّ نعالنا   مِن نسج داود وآلِ محرِّق[5]

---

(١) حسرى : جمع حسير . الرجراجة : الكتيبة الضخمة . الشهباء : البيضاء لما فيها من لمعان الحديد .

(٢) ململومة : مجتمعة خضراء ، لما بها من سواد السلاح . حضن : جبل بأعلى نجد .

(٣) الضراء : الكلاب أو الأسود الضارية . الهراس نبات له شوك . قدر : جمع قدور ، وهى الخيل تجعل أرجلها فى مواضع أيديها إذا مشت ويروى : « فدر » بالفاء ، وهى الوعول المسنة .

(٤) السابغة : الدرع التامة . والنهى : الغدير من الماء .

(٥) الجدل : جمع جدلاء ، وهى الدرع الجيدة النسج . آل محرق : آل عمرو ابن هند ملك الحيرة .

أمر أموال هوازن وسباياها

وعطايا المؤلفة قلوبهم منها، وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دَحْنا[1] حتَّى نزل الجِعرانة فيمن معه الناس، ومعه من هوازنَ سبىٌ كثير، وقد قال رجلٌ من أصحابه يوم ظعَنَ عن ثقيف: يارسول الله، ادعُ عليهم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهمّ اهدِ ثقيفاً وأتِ بهم.

ثم أتاه وفد هوازن بالجِعرانة، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن سَبْى هوازن ستة آلاف من الذرارىّ والنساء، ومن الإبل والشاء مالا يُدرى ما عِدّته. فقالوا: يارسول الله، إنّا أصلٌ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء مالم يَخْفَ عليك، فامنُنْ علينا منّ الله عليك.

وقام رجلٌ من هوازن ثم أحد بنى سعد بن بكر، يقال له زهيرٌ، يكنى أبا صُرَد، فقال: يارسولَ الله، إنّما فى الحظائر[2] عمّاتك

---

(١) دحنا: مخلاف من مخاليف الطائف.

(٢) الحظائر: جمع حظيرة، وهى الزرب يصنع للإبل والغنم ليكفها. وكان السبي يوضع فى حظائر.

وخالاتك وحواضنك[1] اللاتى كنَّ يكفُلنك ، ولو أنَّا مَلَحْنا[2] للحارث بن أبى شِمْر ، أو للنُّعمان بن المنذر ، ثم نزل منَّا بمثل الذى نزلتَ به ، رجَونا عطفه وعائدته[3] علينا ، وأنت خير المكفولين !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يارسولَ الله ، خيرَّتَنا بين أموالنا وأحسابنا بل ترد إلينا نساءَنا وأبناءنا ، فهو أحبُّ إلينا . فقال لهم : أمَّا ما كان لى ولبنى عبد المطَّلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صلَّيت الظُّهر بالناس فقوموا فقولوا : إنَّا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم .

فلمَّا صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظُّهر قاموا فتكلَّموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الأقرع بن حابس : أمَّا أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينةُ بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا .

---

(١) حواضنك : اللاتى أرضعنك . وكان حاضنة الرسول من بنى سعد بن بكر ، من هوازن .

(٢) ملحنا : أرضعنا . والملح : الرضاع .

(٣) العائدة : الفضل العائد .

وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سُليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول عباس بن مرداس لبنى سُليم : وهّنتمونى[1] .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا مَن تمسَّك منكم بحقِّه من هذا السبى فله بكل إنسانٍ ستّ فرائض . من أول سبىٍ أصيبه ، فرُدُّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن وسألهم عن مالك ابن عوفٍ ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالكا أنّه إن أتانى مسلماً رددت عليه أهلَه وماله وأعطيته مائة من الإبل . فأُتى مالكٌ بذلك فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالكٌ خافَ ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما قال فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيُئت له ، وأمر بفرسٍ له فأُتى به إلى الطائف ، فخرج ليلاً فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحبَس ، فركبها فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجِعْرانة أو بمكّة ، فردَّ عليه أهلَه وماله ، وأعطاه مائةً من الإبل ، وأسلم فحسُن إسلامه ، فقال مالك بن عوفٍ حين أسلم :

---

(١) وهنتمونى : أضعفتمونى .

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله   في النـاس كلِّهم بمثل محمـد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتُدِى   ومتى تشأْ يخبرك عمّـا في غد
وإذا الـكتيبةُ عرّدت أنيابُها   بالسمهرىّ وضربِ كلِّ مهنّد(١)
فكأنّه ليثٌ على أشـبـاله   وسطَ الهباءة خادر في مَرصدِ(٢)

فاستعمله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على مَن أسلم من قومه وتلك القبائل: ثُمالة، وسَلِمة، وفَهْم، فكان يقاتل بهم ثقيفًا، لايخرج لهم سَرحٌ إلّا أغار عليه، حتّى ضيّق عليهم، فقال أبو مِحْجن الثقفى:

هابت الأعداء جانبَنا   ثم تغزونا بنو سَلِمَه
وأتانا مالكٌ بهِـمُ   ناقضاً للعهد والحرُمه
وأتونا فى منازلنـــا   ولقد كنّا أولِى نقِـمه

* * *

واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقسِمْ علينا فيئنا من الإبل والغنم! حتى ألجئوه إلى شجرة فاختطفت عنه رداءه، فقال: أدُّوا علىّ ردائى أيُّها الناس، فوالله أنْ لو كان لكم بعدد شجر تِهامة نَعَماً لقسمته عليكم، ثم ما ألفيتمونى بخيلاً ولا جباناً ولا كذابا.

---

(١) عردت: أحجمت وفرت. والأنياب: سادات القوم. السمهرى: الرمح. المهند: السيف المنسوب إلى الهند.

(٢) الهباءة: الغبار يثور عند اشتداد الحرب. الخادر: الذى فى عرينه. المرصد: المكان يرقب منه. ينعته باليقظة.

ثم قام إلى جنب بعيرٍ فأخذ وَبرةً من سَنامه فجعلها بين إصبعيه، ثم رفعها ثم قال: « أيُّها الناس، والله مالى من فيئكم ولا هذه الوَبرة إلّا الخمُس، والخمس مردود عليكم، فأدُّوا الخِياط والمِخيط[1]؛ فإن الغُلول يكون على أهله عاراً وناراً وشَناراً[2] يوم القيامة ».

فجاء رجلٌ من الأنصار بكُبّةٍ[3] من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذتُ هذه الكُبَّةَ أعمل بها بَرْذَعةَ بعيرٍ لى دَبِر[4]. فقال: أمّا نصيبى منها فلكَ! قال: أمّا إذْ بلغَتْ هذا فلا حاجةَ لى بها. ثم طرَحها من يده.

وأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المؤلَّفةَ قلوبهم، وكانوا أشرافًا من أشراف الناس، يتألَّفهم ويتألّف بهم قومَهم، فأعطى أبا سفيان بن حربٍ مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة مائة بعير، وأعطى سُهيل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حُويطب بن عبد العُزَّى مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفى مائة بعير، وأعطى عيينة بن حصن مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمى مائة بعير، وأعطى

---

(١) الخياط: الخيط. والمخيط: الإبرة.
(٢) الشنار: أقبح العار.
(٣) الكبة: ما جمع من الغزل ونحوه.
(٤) الدبر: الذى به الدبر، وهى القروح.

مالك بن عوفٍ النصرى مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المئين.

وأعطى دون المائة رجالاً من قريش، منهم مَخرمة بن نوفل الزُّهرى، وعُمَير بن وهبٍ الجمحى، وهشام بن عمرو أخو بنى عامر ابن لؤىّ. لا أحفظ ما أعطاهم، وقد عرفتُ أنّها دون المائة. وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنْكَثة خمسين من الإبل، وأعطى السهمىّ خمسين من الإبل.

وأعطى عباسَ بنَ مرداسٍ أباعرَ فسخِطهَا، فعاتب فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كانت نِهاباً تلافيتُها بكرِّى على المُهر فى الأجرع[1]
وإيقاظىَ القومِ أن يرقدوا إذا هجعَ الناسُ لم أهجع[2]
فأصبح نهبى ونهبُ العُبَيـ ـدِ بين عيينة والأقرع[3]
وقد كنتُ فى الحرب ذا تُدرإٍ فلم أُعطَ شيئًا ولم أُمنعِ[4]
إلّا أفائل أُعطيتُها عديدَ قوائمها الأربع[5]

---

(١) النهاب: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغنم. والأجرع: المكان السهل.
(٢) لم أهجع: لم أنم.
(٣) العبيد: اسم فرس العباس.
(٤) ذاتدرأ: ذا دفع عن قومى. لم أعط شيئا، أى شيئا طائلا.
(٥) الأفائل: جمع أفيل، وهو الصغير من الإبل.

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ   يفوقان شيخيَ في المجمع[1]
وما كنتُ دون امرئٍ منهما   ومَن تضع اليوم لا يُرفعِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فاقطعوا عنّي لسانَه . فأعطَوه حتّى رضى . فكان ذلك قَطْعَ لسانه الذى أمَر به رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

عن أبى سعيد الخُدرىّ قال :

لما أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا فى قريشٍ وفى قبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شيء ، وَجد هذا الحىُّ من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثُرت منهم القالة[3] ، حتى قال قائلهم : لقىَ والله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومَه ! فدخل عليه سعد بن عُبادة فقال : يا رسولَ الله إن هذا الحى من الأنصار قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم لِما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبتَ ،

---

(١) شيخى ، يريد به أباه مرداسا . ويروى : « شيخى » بتشديد الياء ، يريد أباه وجده . ويروى : « يفوقان مرداس » .

(٢) قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن عباس بن مرداس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أنت القائل : فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينه ؟ فقال أبو بكر الصديق : بين عيينة والأقرع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما واحد . فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » .

(٣) القالة : الكلام الردىء .

قسَمت فى قومك ، وأعطيتَ عطايا عِظاماً فى قبائل العرب ، ولم يك فى هذا الحىِّ من الأنصار منها شىء ! قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلَّا من قومى . قال : فاجمعْ لى قومَك فى هذه الحظيرة .

فخرج سعدٌ فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة ، فجاء رجالٌ من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردَّهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار .

فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد اللهَ وأثنى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : يا معشرَ الأنصار ، ما قالةٌ بلغتْنى عنكم ، وجِدةٌ[1] وَجدتموها علىّ فى أنفسكم ؟ ألم آتكمْ ضُلاَّلاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألَّف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، واللهُ ورسولُه أَمَنُّ وأفضل[2] !

ثم قال : ألَا تجيبوننى يامعشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لِله ولرسوله المنُّ والفضل . قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصَدَقتم ولصُدِّقتم : أتيناك مكذَّباً فصدَّقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك[3] . أوجَدتم

---

(١) الجدة : الغضب .

(٢) أمن : أكثر منة ، وهى النعمة

(٣) آسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .

يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعةٍ[1] من الدنيا تألَّفتُ بها قوماً ليُسلموا ووَكَلتكم إلى إسلامكم ! ألا ترضون يامعشرَ الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفسُ محمدٍ بيده ، لولا الهجرةُ لكنتُ امرأً من الأنصار ، ولو سلكَ الناس شعباً[2] وسلكت الأنصار شِعباً لسلكتُ شِعب الأنصار ! اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ؟

قال : فبكى القوم حتَّى أخضلُوا لحاهم[3] ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسْماً وحظاً .

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا .

---

(١) اللعاعة ، بالضم : البقية اليسيرة .

(٢) الشعب : الطريق بين جبلين .

(٣) أخضلوها : بللوها .

عُمرة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة

واستخلافه عَتَّابَ بن أسيد على مكةَ ، وحَجُّ عَتَّاب بالمسلمين سنة ثمان

قال ابن إسحاق :

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرَانه معتمراً ، وأمر ببقايا الفَيْءِ فحُبِسَ بِمَجَنَّة بناحية مَرِّ الظَّهران ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عُمرته انصرف راجعا إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخَلَّفَ معه مُعاذ بن جبَل يُفَقِّه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن ، واتُّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفيء[1] .

وكانت عُمرةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى بقية ذى القعدة ، أو فى أول ذى الحجة .

---

(١) قال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه : قال لما استعمل النبى صلى الله عليه وسلم عتابَ بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بى حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وحجَّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه، وحج بالمسلمين تلك السنة عتَّاب بن أَسِيد ، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ، ما بين ذى القعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كَعْب بن زُهَيْر

بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مُنْصَرفه عن الطائف كتب بُجَيْر بن زهير بن أبى سُلْمَى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابنَ الزِّبَعْرَى وهُبَيْرَةَ بن أبى وهب ، قد هربوا فى كل وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فَطِرْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يقتُل أحدا جاءه تائبا ، وإن أنت لم تفعل فَانْجُ إلى نجائكَ من الأرض ،

وكان كعب قد قال :

ألَا أبلِغَا عَنِّى بُجَيراً رسالةً فهل لك فيما قلتُ ويحكَ هل لَكا

فبيِّنْ لنا إنْ كنتَ لستَ بفاعلٍ علَى أىِّ شىءٍ غيرِ ذلك دلَّكا

علَى خُلُقٍ لمَ ألْف يوماً أبَاله عليهِ وما تُلْفِ عليه أبًا لَكا

فإن أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسفٍ ... ولا قائلٍ إما عَثَرت لَعاً لَكا[1]

سقاكَ بِها المأمونُ كأساً رَوِيَّةً ... فأنهلكَ المأمونُ منها وعلَّكا[2]

قال: وبعث بها إلى بُجير، فلما أتت بُجيراً كره أن يكتمها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأنشده إياها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما سمع «سقاك بها المأمون»: «صدق وإنه لكذُوبٌ، أنا المأمون»

ولما سمع «على خُلُقٍ لم تلف أمًّا ولا أبا عليه» قال: أجلْ لم يلفِ عليه أباه ولا أمَّه.

قال ابن إسحاق:

فلما بلغ كعباً الكتابُ ضاقت به الأرض، وأشفقَ على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوِّه، فقالوا: هو مقتول. فلما لم يجد من شيء بُدًّا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر فيها خوفه وإرجافَ الوشاة به من عدوِّه ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهينةَ، كما ذكر لي، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلَّى الصبح، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(1) بآسف: بنادم. وقوله «لعالك» كلمة تقال للعاثر، يدعى له بها، ومعناها قم وانتعش.

(2) أنهلك: سقاك النهل، وهو الشرب الأول، وعلك: سقاك العلل. والعلل: الشرب الثاني.

ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه . فذُكِر لى أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال: يا رسول الله ،إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلما ، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتك به ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » . قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يارسول الله ، دَعْنِى وعَدُوَّ الله أضربْ عنقه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعْهُ عَنكَ فإنَّهُ قَد جاءَ تائباً نازِعاً عمّا كان عليه » . فغضب كعبٌ على هذا الحى من الأنصار لما صنع به صاحبُهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلبى اليَومَ مَتبُولُ ... مُتَيَّمٌ إثرَهَا لَم يُفْدَ مَكبولُ(١)

* * * * * * * * * * * * * * * * * *

نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوْعدَنى ... والعفْوُ عند رسولِ اللهِ مأْمولُ

مهلاً هَداكَ الذى أعطاكَ نافلةَ الْـ ... ـقرآن فيها مواعيظٌ وتَفصيلُ

لاتَأْخُذَنِّى بأقوال الوُشاةِ ولَمْ ... أُذنبْ ولو كَثُرَت فِىَّ الأقاويلُ

(١) البين : الفراق ، وبانت: ذهبت وفارقت . وسعاد :اسم صاحبته . ومتبول : هالك ، والتبل ، بفتح فسكون ، هو الهلاك وطلب الثأر . ومتيم : معبد مذلل . ويروى: « متيم عندها لم يجز » .

لَقَد أقومُ مَقاماً لَو يَقُومُ بِهِ
يرَى ويَسْمَعُ مَا قَد أَسمَعُ الفيلُ
لظلَّ يُرعَدُ إلاَّ أن يكونَ لهُ
من الرسولِ بإذنِ اللهِ تَنويلُ
مَازلتُ أقتطعُ البيداءَ مُدرَّعاً
جُنْحَ الظلامِ وثَوبُ اللَّيل مَسدُولُ[1]
حتَّى وضعتُ يميني مَا أنَازِعهَا
فِي كَفِّ ذِي نَقَماتٍ قِيلُهُ القِيلُ[2]
فَلَهْو أَخْوَفُ عندِي إذْ أُكلِّمهُ
وقِيلَ إنَّكَ مَنسُوبٌ ومسئُولُ
مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الأرض مَخْدَرُهُ
فى بطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونه غِيلُ[3]
يغدو فيُلْحِمِ ضِرغامين عيشُهما
لحمٌ من الناسِ مَعفورٌ خراديلُ[4]
إذا يساوِرُ قِرْناً لا يحلُّ لهُ
أن يترُكَ القِرنَ إلا وهو مغلولُ[5]

(١) مدرعا: لابسا. والمراد شمول الظلام له.

(٢) أى قوله هو القول الحق.

(٣) الضيغم: الأسد. ضراء الأرض: ما واراك من شجر ونحوه. مخدر الأسد: أجمته وغابته. عثر: موضع مشهور بالأسد. الغيل: الأجمة.

(٤) يلحم: يطعم اللحم. معفور: ممرغ فى العفر، وهو التراب. خراديل: قطع.

(٥) يساور: يواثب.

مِنه تظلُّ سِباعُ الجوِّ نافِرةً ولا تمشّى بواديه الأراجيلُ (١)

ولا يزال بواديه أخو ثِقة مُضرَّجُ البزِّ والدِّرسانِ مأكولُ (٢)

إن الرسولَ لنورٌ يُستَضاء بهِ مهنّدٌ من سُيوف الله مسْلُولُ (٣)

فى عُصبةٍ مِن قُريشٍ قالَ قائلُهمْ

ببطنِ مكّةَ لما أسلموا : زولُوا (٤)

زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ

عندَ اللقاءِ ولا مِيلٌ مَعازِيلُ (٥)

شمٌ العرانين أبطالٌ لبوسهم

مِنْ نَسجِ داود فى الْهَيْجا سَرابيلُ (٦)

---

(١) الجو : اسم موضع . والأراجيل : الجماعات من الرجال .

(٢) مضرج : مخضب بالدماء . والبز . السلاح . والدرسان ـ بكسر الدال وسكون الراء : جمع درس ، وهو الثوب الخلق البالى .

(٣) سيوف الهند مضرب مثل فى الجودة . يستضاء به : أى يهتدى به إلى الحق .

(٤) « فى عصبة » يروى أيضاً : « فى فتية » . وزولوا : انتقلوا من مكان إلى مكان ، يقصد الهجرة .

(٥) أنكاس : جمع نكس بالكسر ، وهو الرجل الضعيف .

سمى بذلك تشبيها بالنكس من السهام وهو الذى انكسر فوقه . والكشف : جمع أكشف ، وهو الذى لاترس معه فى الحرب . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لا سيف معه ، أو هو الذى لا يحسن ركوب الخيل ولا يستقر على السرج . والمعازيل : جمع معزال ، وهو الذى لا سلاح معه .

(١) الشم : جمع أشم ، وهو الذى فى قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه ، وذلك من علامات السيادة والكرم . والعرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف ، والأبطال : جمع بطل ، وهو الرجل الشجاع ، وسمى بذلك لأنه تبطل عنده الدماء وتهدر ولا ينال منه ثأر . ونسج داود أراد به الدروع . والهيجا : الحرب ، وأصله ممدود فقصره . والسرابيل : جمع سربال .

بِيضٌ سَوابِغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ
كأَنَّهَا حلقُ القَفْعاءِ مجدُولُ (١)

ليسوا مَفاريحَ إنْ نالتْ رِماحُهمُ
قوما ، وليسوا مجازيعاً إذا نِيلوا (٢)

يمشون مَشْىَ الجمالِ الزُّهرِ يعصِمُهمْ
ضَربٌ إذا عَرّدَ السُّودُ التنَابيلُ (٣)

لا يَقَعُ الطعنُ إلا فى نحورِهِمُ
وما لهمْ عن حِياضِ الموتِ تَهْليلُ (٤)

---

(١) بيض : جمع أبيض ، وسوابغ : جمع سابغ ، وهو الطويل التام ؛ وهذان وصفان للسرابيل فى البيت السابق . وشكت : أراد نسجت ، وأصل الشك إدخال الشيء فى الشيء . ويروى : « سكت » بالسين المهملة ، ومعناه ضيقت . والحلق : جمع حلقة ، بفتح فسكون . والقفعاء : شجر ينبسط على وجه الأرض يشبه حلق الدروع . ومجدول : محكم الصنعة .

(٢) مفاريح : جمع مفراح . ومجازيع : جمع مجزاع . وكلاهما صيغة مبالغة من الفرح ومن الجزع . يريد أنهم إذا تغلبوا على عدوهم لم يفرحوا لذلك ؛ لأن هذا أمر تعودوه ، واذا غلبهم أحد لم يجزعوا ، لأنهم يعلمون أن الأمور بيدالله وأنهم منتصرون عليه فيما بعد .

(٣) الزهر : جمع أزهر ، وهو الأبيض . وعرد : نكب عن قرنه وهرب منه . والتنابيل : جمع تنبال ، وهو القصير .

(٤) وصفهم بأنهم لا يفرون فيقع الطعن فى ظهورهم ، بل من شأنهم الإقدام على أعدائهم فيقع الطعن فى نحورهم وصدورهم . تهليل: فرار . هلل عن قرنه تهليلا ، إذا فر .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب « إذَا عَرد السُّودُ التَّنَابِيلُ » — وإنما يريدنا معشرَ الأنصار لما كان صاحبنا صنع به ما صنع ، وخصّ المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمَدْحَتِهِ — غَضِبَتْ عليه الأنصار ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعهم من اليَمَن :

مَن سرَّهُ كرمُ الحياةِ فلا يزلْ ... فِي مِقنبٍ من صالحى الأنصار [1]

وَرِثُوا المَكارِمَ كابِراً عن كابرٍ ... إنَّ الخِيَارَ هُمُ بَنُو الأَخيارِ

المُكرِهينَ السَّمهرِىَّ بِأَذرعٍ ... كسوافل الهندىِّ غيرِ قِصارِ [2]

والناظِرينَ بِأَعينٍ مُحمَرَّةٍ ... كالجمرِ غيرِ كَلِيلَةِ الإبصارِ

والبَائِعِينَ نفوسَهم لِنَبِيهم ... لِلموتِ يومَ تَعانُقٍ وكِرَارِ

والذائدِينَ الناسَ عن أديانِهمْ ... بالمشرفِىِّ وَبالقنا الخَطَّارِ [3]

---

(١) أصل المقنب الجماعة من الخيل ، وجمعه المقانب ؛ أراد الفرسان .

(٢) السمهرى : الرمح . « كسوافل الهندى » يريد به الرماح . والرماح قد تنسب إلى الهند كما تنسب إلى الخط . انظر ديوان كعب ص ٢٦ .

(٣) الذائدين : المانعين والدافعين . وقد وقع فى نسخة « والقائدين » . والمشرفى : السيف . والخطار : المهتز .

يتطَّهرون يرونه نُسُكًا لهم بِدِماء مَن علِقوا مِن الكُفَّارِ
دَرِبُوا كَمَا دَرِبَتْ بِبطنِ خَفِيَّةٍ
غُلْبُ الرِّقَابِ من الأُسُودِ ضَوَارِى (١)
وإذَا حَللتَ لِيَمنُعوكَ إليهمُ أُصبحتَ عندمعَاقِلِ الأَغْفَارِ (٢)
ضَرَبُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً دَانَت لِوقعتَها جَميعُ نِزَارِ (٣)
لَوْ يعلَمُ الأَقْوَامُ عِلْمِى كُلَّهُ فِيهِمْ لَصَدَّقَنِى الذَّينَ أُمارِى (٤)
قَومٌ إذَا خَوتِ النُجومُ فَإِنَّهُمْ للطَّارِقِينَ النَّازلِين مقَارِى (٥)
فِى الغُرِّ مِنْ غَسَّانَ مِنْ جُرْثُومَةٍ
أَعْيَتْ مَحَافِرُهَا عَلَى المنقَارِ (٦)

---

(١) دربو : تعودوا . وخفية : موضع تنسب إليه الأسود . وغلب الرقاب : غلاظها . وضوار : متعودة الصيد ، جمع ضار .

(٢) معاقل : جمع معقل . وهو الموضع الذى يمتنع فيه من احتله . والأغفار : جمع غفر ، وهو ولد الوعل . ويضرب بها المثل فى الامتناع .

(٣) عليا : أراد به على بن مسعود بن مازن الغسانى . وإليه تنسب بنو كنانة لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة بن كنانة بعد وفاته ، فنسبوا إليه .

(٤) أمارى : أجادل .

(٥) خوت النجوم : سقطت ولم تمطر فى نوئها . والطارقين : الذين يأتون ليلا . والمقارى : جمع مقرى ، وهو الكثير الإطعام للضيوف .

(٦) المحافر : مواضع الحفر . والمنقار : حديدة كالفأس ينقر بها .

قال ابن هشام :

ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده :

* بَانَتْ سُعَادَ فَقَلْبي الْيَوْمَ مَتْبُولُ *

« لَوْلاَ ذَكَرْتَ الأَنْصَارَ بِخَيْرٍ فَإنَّهُمْ لِذلكَ أَهْلٌ » ؟فقال كعب هذه الأبيات وهى فى قصيدة له .

قال ابن هشام :

ويقال ، وذكر لى عن عليّ بن زيد بن جدعان أنّه قال : أنشَد كعبُ بن زهير رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد :

* بانَتْ سُعادُ فقلبى اليومَ متبولُ *

غَزوة تَبُوك

فى رجب سنة تسع

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتَّهيُّؤ لغزو الروم .

وقد ذكر لنا الزُّهْرِى ، ويزيد بن رُومَان ، وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة، وغيرهم من علمائنا ، كُلٌّ حَدَّث فى غزوه تَبُوكَ ما بلغه عنها ، وبعض القوم يُحَدِّث مالا يحدث بعضٌ .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيُّؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمن عُسْرَةٍ من الناس ، وشِدةٍ من الحر ، وجَدْب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يُحِبُّون المُقَام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشُّخُوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَلَّما يخرج فى غزوة إلا كَنَى عنها ، وأخبر أنه يريد غَيرَ الوجه الذى يَصمِدُ له(١) ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيَّنها للناس ، لبعد الشُّقَّة(٢) وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمِدُ له ؛ ليتأهبَ الناسُ لذلك أهبتَهُ ، فأمر الناسَ بالجهاز ، وأخبرهم

---

(١) يصمد إليه : يقصده .

(٢) الشقة : بعد المسير .

أنه يريد الروم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجدِّ بن قيس أحد بنى سَلِمَة : « ياجدُّ هل لكَ العامَ فى جِلادِ بنى الأصفرِ[1] » ؟ فقال : يارسول الله ، أو تأذن لى ولا تفتِنِّى فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل بأشدَّ عُجباً بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « قد أذنتُ لك » . ففى الجدّ ابن قيس نزلت هذه الآية : (ومِنهم مَن يقولُ ائذَنْ لِى ولا تفتِنِّى ألاَ فى الفِتنَةِ سَقطُوا وإنَّ جهنمَ لَمُحِيطةٌ بِالكافرين) أى : كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلُّفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بِنفسه عن نفسه . يقول : وإنَّ جهنمَ لمن ورائه .

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحر ، زَهادةً فى الجهاد ، وَشكًّا فى الحق ، وإرْجافاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَنزل الله تبارك وتعالى فيهم : (وَقَالُوا لاَ تَنْفِروا فى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يفقَهُونَ . فَلْيَضحَكُوا قلِيلاً وَلْيَبْكُوا كثيراً جَزاءً بِما كانُوا يَكسِبُونَ) .

---

(١) بنو الأصفر : هم الروم .

قال ابن إسحاق :

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ في سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحُملان[1] في سبيل الله ، فحمل رجالٌ من أهل الغنى ، واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم يُنفِق أحدٌ مثلها[2] .

ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم : من بني عمرو بن عوف : سالم بن عُمير ، وعُلْبة بن زيد أخو بني حارثة ، وأبو لَيْلَى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النَّجَّار ، وعمرو بن حُمَام بن الجموح أخو بني سَلِمَة ، وعبد الله بن المُغَفَّل المزني ، وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزني ، وهَرَمِيُّ بن عبد الله أخو بني واقف ، وعِرْباض بن ساريةَ الفزاري — فاستحملوا[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهلَ حاجة ، فقال : «لا أجِدُ ما أحمِلكم عليه» فتَوَلَّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزَناً ألا يجدوا ما ينفقون .

---

(١) الحملان : مصدر حمل يحمل . وقد يراد به ما يحمل عليه من الدواب .

(٢) قال ابن هشام : حدثني من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم ارض عن عثمان ، فاني عنه راض» .

(٣) استحملوه : طلبوا أن يحملهم على الدواب .

فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النَّضْرى لقى أبا ليلى عبد الرحمن ابن كعب وعبد الله بن مغفَّل، وهما يبكيان فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوَّى به على الخروج معه. فأعطاهما ناضحاً له[1]، فارتحلاه[2]، وَزَوَّدَهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وجاءه المُعَذِّرونَ من الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يَعْذِرهم الله تعالى. وقد ذُكِر لى أنهم نفر من بنى غِفار.

ثم استتبَّ[3] برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره، وأجمعَ السَّيرَ. وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النِّيَّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلَّفوا عنه، عن غير شكٍّ ولا ارتياب، منهم كعبُ ابن مالك بن أبى كعب، ومُرَارة بن ربيع، وهِلالُ بن أُمَيَّة، وأبو خيثمة، وكانوا نفرَ صِدقٍ لا يُتَّهمونَ فى إسلامهم، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثَنيَّةِ الوَدَاع[4].

---

(١) الناضح: الجمل الذى يستقى عليه الماء.

(٢) ارتحلاه: وضعا عليه الرحل.

(٣) استتب: تتابع واستمر.

(٤) ثنية الوداع: ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة.

وضرب عبدُ الله بن أُبَىّ معه على حِدَةٍ عَسكَرَهُ أسفلَ منه نحو ذُباب[1]، وكان فيما يزعمون ليس بأقلِّ العسكرين، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلَّفَ عنه عبدُ الله بن أُبَىّ فيمن تخلَّف من المنافقين وأهل الرَّيب، وخَلَّفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرَجف به المنافقون[2]، وقالوا: ما خلَّفه إلّا استِثقالًا له وتخفُّفًا منه. فلما قال ذلك المنافقون أخذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه سلاَحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو نازل بالُجرف[3]، فقال: يا نبىَّ الله، زعم المنافقون أنك إنما خلَّفتنى أنك استثقلتنى وتَخَفَّفْتَ منّى. فقال: «كَذَبوا، ولكنّى خَلَّفْتُكَ لِمَا تركتُ ورائى، فارجِعْ فاخلفنى فى أهلى وأهلك. أفلا ترضى يا عَلىُّ أن تكون مِنّى بمنزلةِ هارونَ من موسى؛ إلّا أنَّه لا نبىَّ بعدى». فرجع علىٌّ إلى المدينة، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره.

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّامًا إلى أهله فى يوم حارّ، فوجد امرأتين له فى عرِيشَيْن[4] لهما فى

---

(1) ذباب: جبل بالمدينة.

(2) الإرجاف: توليد الأخبار الكاذبة.

(3) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة.

(4) العريش: شبيه بالخيمة، يظلل فيكون أبرد الأخبية والبيوت.

حائطه[1] قد رَشَّت كلٌّ واحدة منهما عريشها . وبرَّدَت له فيه ماء ، وهيَّأت له فيه طعاما ، فلما دخل قامَ على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الضِّحِّ[2] والريح والحَرِّ ، وأبو خَيْثَمَةَ فى ظلٍّ بارد ، وطعام مُهَيَّأ ، وامرأة حسناء ، فى ماله مقيم ؟ ! ! ما هذا بالنِّصْف[3] . ثم قال : والله لا أدخل عريشَ واحدةٍ منكما حتى ألحقَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَهَيِّئَا لى زاداً . ففعلتا ، ثم قدَّم ناضِحَه فارتحله[4] ، ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتَّى أدركه حين نزل تَبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيْرُ ابن وهبٍ الجُمَحِىُّ فى الطريق يطلبُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دَنَوَا من تَبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إنَّ لى ذَنْباً فلا عليك أن تَخَلَّف عنِّى حتَّى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك قال الناس : هذا راكبٌ على الطريق مُقْبِلٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُنْ أبا خَيْثَمَةَ ! » فقالوا : يارسول الله ، هو والله أبو خيثمة .

---

(١) الحائط : الحديقة ، أو بستان من النخل قد دار حوله بناء .

(٢) الضح : الشمس .

(٣) النصف ، بالكسر : الإنصاف .

(٤) الناضح : البعير يستقى عليه . ارتحله : وضع عليه الرحل .

فلما أناخ أقبل فسَلَّمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْلَى لك يا أبا خَيْثَمَةَ[1]» ثم أخبر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له بخير.

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين مَرَّ بالِحجر[2] نزلها واستقى الناسُ من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشربوا مِن مائها شيئاً ولا تَتَوَضَّئُوا مِنه للصَّلاةِ. وما كانَ من عَجِينٍ عَجَنتموه فاعلِفوه الإبلَ، ولا تأكُلُوا مِنهُ شيئاً. ولا يَخْرُجَنَّ أحدٌ مِنكم الليلةَ إلا ومعهُ صاحِبٌ له». ففعل الناس ما أمرهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدُهما لحاجته، وخرج الآخر فى طلب بعيرٍ له، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ على مذهبه[3]، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلَىْ طيء، فَأُخبِرَ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ألم أَنْهَكُم أن يَخرُجَ منكم أحدٌ إلّا ومعه صاحبُه؟» ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى أصيب على مذهبه فشُفى،

---

(١) أولى لك: كلمة فيها معنى التهديد، وهى اسم سمى به الفعل. ومعناها فيما قال المفسرون دنوت من الهلكة.

(٢) الحجر: قرية من نواحى المدينة بها عيون وآبار لبنى سليم خاصة.

(٣) يقال لموضع الغائط: الخلاء، والمذهب.

وأما الآخر الذى وقع بجبلَىْ طيء فإنّ طيّئاً أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة.

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوْا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل الله سحابةً فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته، فخرج أصحابه فى طلبها، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من أصحابه يقال له عُمارة بن حزْم، وكان عَقَبياً بدْرِياًّ، وهو عمرو بن حزم، وكان فى رحْله زيدُ بن اللُّصَيْت القَيْنُقَاعىُّ، وكان منافقا.

فقال زيد بن اللُّصَيْت وَهو فى رَحْل عُمَارة، وعُمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: أليس محمد يَزْعم أنه نبي ويُخْبركم عن عن خبر السماء وهو لايدرى أين ناقته؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده: «إنَّ رَجلاً قال: هذَا مُحَمَّدٌ يُخْبرُكُمْ أَنَّه نَبِيٌّ وَيزْعُمُ أنَّه يُخْبركم بِأمر السَّماء وهو لَا يَدرِى أينَ نَاقَتُه، وَإنِّى وَاللهِ مَا أعلمُ إلاَّ ما علَّمَنى الله، وقد دَلَّنى الله عليها، وهىَ فى هذا الوادى فى شِعبِ كذَا وكذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجرةٌ بِزمامِها، فانطَلِقُوا حتَّى تَأْتونى بها». فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عُمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله

لَعجب من شيء حَدَّثَنَاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آنفاً، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا — للذى قال زيد بن لُصَيْت — فقال رجل ممن كان فى رحل عُمَارة ولم يحضُر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى. فأقبل عمارة على زيد يَجَأُ فى عُنُقِه[1] ويقول: إلَىَّ عِبادَ الله، إن فى رَحلى لداهية وما أَشعر! اخرُجْ أى عَدُوَّ الله من رحلى فلا تَصحَبْنى!

فزعم بعضُ الناس أن زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل مُتَّهَمًا بشرٍّ حتى هلك.

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً، فجعل يتخلَّفُ عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلَّف فلان، فيقول: «دَعُوه فإن يكُ فِيهِ خيرٌ فَسَيُلْحِقه الله تعالَى بِكُم، وإن يكُ غَيَرَ ذَلِكَ فقد أراحكم الله منه». حتى قيل: يارسول الله، قد تخلَّف أبو ذر، وأبطأ به بعيره، فقال: دَعُوه فَإن يَكُ فيه خير فسيُلحِقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أرَاحكُم الله منه».

وتَلَوَّمَ[2] أبو ذَرٍ على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعَه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً،

---

(١) يجأ فى عنقه: يطعن فيها.
(٢) تلوم تمكث وانتظر.

ونزل رسولُ الله فى بعض منازله، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال: يا رسول الله، إنَّ هذا لرجلٌ يمشى على الطريق وحدَه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُنْ أبَا ذَرٍّ». فلما تأمَّله القوم قالوا: يارسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله أَبا ذرٍّ يمشى وَحدَه، ويموتُ وَحدَه، ويُبْعَثُ وحدَه».

عن عبد الله بن مسعود، قال: لمَاَ نفَى عثمانُ أبا ذرٍّ إلى الرَّبذَة، وأصابه بها قَدَرُه، لم يكن معه أحدٌ إلا امرأته وغلامه، فأَوصاهما: أن أغسلانِى وكفِّنَانى، ثم ضَعانى على قارعة الطريق، فأَوَّل ركبٍ يمر بكم فقولوا: هذا أبو ذرٍّ صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا ذلك به، ثم وضعاه على قارعة الطريق؛ وأقبل عبد الله بن مسعود فى رهْطٍ من أهل العراق عُمَّار[1] فلم يرُعْهُمْ إلا بالجنازة على ظهر الطريق، قد كادت الإبل تَطَؤُها، وقام إليهم الغلام، فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه. قال: فاستَهَلَّ عبدُ الله بن مسعود يبكى ويقول: صدَق رسول الله صلى الله عليه وسلم: تَمْشى وحدك، وتموت وحدك، وتبعَثُ وحدك! ثم نزل هو وأصحابه فوَارَوْه.

---

(١) العمار: المعتمرون، أى المحرمون بالعمرة.

ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثَه وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره إلى تبوك .

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبُوك أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ صاحبُ أَيْلَةَ ، فصالح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جَرْبَاء وَأَذْرُح فَأَعطَوه الجزية ، فكتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا ، فهو عندهم .

فكتب ليُحَنَّةَ بن رؤبة :

« بِسم اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ . هٰذهِ أَمَنَةٌ من اللهِ ومحمدٍ النبيِّ رسول اللهِ لِيُحَنَّةَ بنِ رُؤْبة وأهلِ أَيْلَةَ سفنِهم وسَيَّارَتِهم[1] فى البرِّ والبحرِ ، لهم ذِمَّةُ اللهِ وذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النبيِّ ومن كان معهم مِن أهلِ الشَّامِ وأهلِ اليمنِ وأهلِ البَحر ، فمن أحدثَ مِنهم حَدَثًا فإنه لا يحُولُ ماله دون نفسهِ وإنه طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَه مِن الناسِ ، وإنَّه لا يَحِلُّ أنْ يمْنَعوا ماءً يرِدُونه ولا طرِيقاً يُرِيدونه من برٍّ أو بحر » .

---

(١) السيارة : القافلة ، والقوم يسيرون .

بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِرِ دُومَة

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أُكَيْدِرُ دُومَةَ، وهو أُكَيْدر بن عبد الملك، رجل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد: «إنَّك ستجدُه يَصيدُ البقرَ».

فخرج خالد حتَّى إذا كان من حِصنه بمنظر العين وفى ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له ومعه امرأته، فباتت البقر تحكُّ بقرونِها بابَ القصر، فقالت له امرأته: هل رأيتَ مثل هذا قطُّ؟ قال: لا والله. قالت: فمن يتركُ هذه؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأُسرِج له، وركب معه نفرٌ من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم[1]، فلما خرجوا تلقَّتهُم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخذته، وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قَباء من دِيباج مُخوَّص بالذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قُدومه به عليه.

---

(١) المطارد: جمع مطرد، بكسر الميم: رمح قصير يطارد به الوحش.

عن أنس بن مالك، قال: رأيت قَباء أُكَيْدِرٍ حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجَّبون منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتعجبون مِن هذا، فوالذى نفسى بِيده لمناديلُ سعد بن مُعاذٍ فى الجنة أحسنُ مِن هذا».

قال ابن إسحاق: ثم إن خالدا قدم بأكيدِرٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَحَقَنَ له دمه.[1] وصالحه على الجزية، ثم خَلّى سبيله، فرجع إلى قريته.

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بِضعَ عَشرةَ ليلةً لم يجاوِزها، ثم انصرف قافلا إلى المدينة، وكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَل[2]، مَا يُروى الراكب والراكبين والثلاثة، بوادٍ يقال له وادِى المُشَقَّق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقِينَّ منه شيئاً حتّى نأْتيه». قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه؛ فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه، فلم ير فيه شيئاً، فقال: «مَنْ سبقنا إلى هذا الماء»؟ فقيل له: يا رسول الله، فلان وفلان. فقال: أوَ لم أَنْهَهُم أن يستقُوا مِنه شيئاً حتَّى آتيه»؟ ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا

---

(١) حقن دمه: أنقذه من القتل.

(٢) الوشل، بفتح الواو والشين: حجر أو جبل يقطر منه قليلا قليلا، والوشل أيضا: القليل من الماء.

عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحت الوَشَل ، فجعل يَصُبُّ فى يده ماشاء الله أن يصبّ ، ثم نَضَحَه به ، ومسح بيده ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما شاء أن يدعو به ، فانخرق من الماء — كما يقول من سمعه — ما إنَّ لَهُ حِسًّا كحسِّ الصَّواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن بقيتم أو مَنْ بقِى مِنكُم لَتَسْمَعَنَّ بهذا الوادِى وهو أخصَبُ ما بينَ يَدَيه وَمَا خَلفَه » .

قال ابن إسحاق :

وذكر ابن شهاب الزُّهْرىُّ ، عن ابن أُكَيْمَةَ الليثى ، عن ابن أخى أبى رُهم الغفارِى ، أنه سمع أبارُهم كلثومَ بن الحصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، فسِرتُ ذاتَ ليلة معه ونحن بالأخضر[1] قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألقى الله علينا النُّعاس ، فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيُفْزِعُنى دنُوُّهَا منه مخافةَ أن أصيب رجلَه فى الغَرز[2] ، فطفقت أَحُوزُ راحلتى عنه حتى غلبتْنى عينى فى بعض الطريق ونحن فى بعض الليل ، فزاحَمَتْ راحلتى راحلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلُهُ

(١) موضع قرب تبوك ، بينه وبين وادى القرى .

(٢) الغرز للرحل بمنزلة الركاب للسرج .

فى الغرز ، فما استيقظتُ إلا بقوله « حَسِّ [1] » ، فقلت : يا رسول الله ، استغفر لى فقال : « سِرْ » .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تَخَلَّفَ من بنى غفار فأُخبره به ، فقال وهو يسألنى : « مَافعَلَ النَّفرُ الحمرُ الطِّوالُ الثِّطَاطُ [2] » فحدثته بتخلُّفهم ، قال : فما فَعَلَ النفر السُّودُ الجِعادُ القِصارُ » ؟ قلت : والله ما أعرف هؤلاء منَّا . قال : « بَلَى الذينَ لهم نَعَمٌ بِشَبكةِ شدخٍ » [3] . فتذكَّرتهم فى بنى غفار ، ولم أذكرهم فى بنى غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رَهطٌ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رَهطُ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مَنَعَ أَحَدَ أُولئك حينَ تَخَلَّفَ أن يحملِ عَلى بعيرٍ من إبله أمرأً نَشيطاً فى سَبيلِ الله . إنَّ أَعز أهلِيَّ على أن يَتَخلَّفَ عنِّى المهاجرونِ من قريش ، والأنصار ، وغفارٍ وأسلمُ » .

---

(١) حس : كلمة معناها أتألم .

(٢) الثطاط بالكسر : جمع ثط ، وهو القليل شعر اللحية والحاجبين .

(٣) شبكة شدخ : من منازل غفار وأسلم بالحجاز .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

فى شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق :

وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من تَبُوكَ فى رمضان، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفدُ ثَقِيف .

وكان من حديثهم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتَّبَعَ أثَرَهُ عُروةُ بن مَسعود الثَّقفىُّ حتّى أدركه قبل أن يصلَ إلى المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدّث قومُه : « إنَّهُمْ قاتِلُوكَ » وعرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنَّ فيهم نَخْوَةَ الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم[1] .

وكان فيهم كذلك مُحَبَّباً مطاعا ، فخرج يدعو قومَه إلى الإسلام ؛ رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على عِلِّيَّةٍ له[2] ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رَمَوهُ بالنَّبْل من كل وجه ، فأصابه سهمٌ فقتله .

---

(١) قال ابن هشام : « ويقال : من أبصارهم » .

(٢) العلية : الغرفة .

فتزعم بنو مالكٍ أنه قتله رجل منهم يقال له : أَوْسُ بن عَوْف أخو بنى سالم بن مالك . وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بنى عَتَّاب بن مالك يقال له : وهب بن جابر . فقيل لعروة : ما ترى فى دمك ؟ قال : كَرَامَةً أكرمنى الله بها ، وشهادةً ساقها الله إلىَّ : فليس فىَّ إلَّا ما فى الشُّهَدَاء الذين قُتِلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم . فزعموا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : « إنَّ مَثَلَهُ فى قومِه لَـكَمَثَلِ صاحبِ يٰس فى قَومِه » .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عُرْوَةَ أشهرا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحَرْب مَنْ حَوْلَهُم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا .

فأْتمروا بينهم ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كما أرسلوا عُرْوَةَ ، فكلموا عَبْدَ يالِيل بن عمرو بن عمير ، وكان سِنَّ عُروةَ بنِ مسعود ، وعرضوا ذلك عليه فأبى أن يفعل ، وخَشِىَ أن يُصنَعَ به — إذا رجع — كما صُنِعَ بعروة ، فقال : لستُ فاعلا حتى تُرْسِلوا معى رجالا . فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك ؛ فيكونوا ستة ؛ فبعثوا مع عبد ياليل الحَكَمَ بن عمرو بن وهب بن مُعَتِّب ، وشُرَحْبِيلَ بن غَيلان بن سلمة بن مُعَتِّب ، ومن بنى مالك : عثمانَ بن أبى العاص بن بِشْر بن عبد دُهْمَان

أخا بنى يَسَار ، وَأوسَ بن عَوف أخا بنى سالم ، ونُمَيْر بن خَرَشَة بن ربيعة أخا بنى الحارث ، فخرج بهم عبد ياليل ، وهو نابُ القوم[1] وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خَشْيَةً من مثل ما صُنع بعروة بن مسعود ، لكى يَشْغَلَ كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطَه .

فلما دَنَوْا من المدينة ونزلوا قَناةَ أَلْفَوْا بها المغيرة بن شُعْبة يَرْعَى فى نوبته رِكابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وكانت رِعْيَتُها نُوَبًا على أصحابه صلى الله عليه وسلم ـ فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين وضَبَرَ يشتد[2] ، ليبشِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن رَكب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام ، بأن يَشْرِطَ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شُرُوطًا ، ويكتتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِتاباً فى قومهم وبلادهم وأموالهم . فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تَسبِقْنِى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكونَ أنا أحدِّثه . ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فرَوَّحَ الظَّهْرَ معهم ، وعلَّمهم كيف يُحَيُّونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية .

---

(١) ناب القوم : سيدهم والمدافع عنهم .

(٢) ضبر يشتد : أى وثب . ضبر الفرس ، إذا جمع قوائمه ووثب .

ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَرب عليهم قبةً فى ناحية مسجده، كما يزعمون، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذى كتب كتابَهم بيده، وكانوا لا يَطْعُمونَ طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتَّى يأكل منه خالد. حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يدعَ لهم (الطاغية)، وهى اللّاتُ، لا يهدمها ثلاثَ سنين. فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنةً سنة ويأبى عليهم، حتَّى سألوا شهراً واحداً بعد مَقْدَمهم، فأبى عليهم أن يدعَها شيئًا مُسمًّى، وإنما يريدون بذلك، فيما يُظْهِرونَ، أن يَتَسَلَّمُوا بتركها من سُفَهائهم ونسائهم وذَرَاريهم، ويكرهون أن يُرَوِّعوا قومهم بهدمها حتَّى يَدْخُلَهم الإسلام، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم إلا أن يبعثَ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه — مع تَرْك الطاغية — أن يُعْفيهم من الصَّلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمَّا كَسرُ أُوثانكم بأيديكم فَسَنُعْفيكم مِنه، وأمَّا الصَّلاةُ فإنَّهُ لاخيْرَ فى دين لاَصلاةَفيه». فقالوا: يامحمد، فَسَنُؤتيكهَا وإن كانت دناءةً.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم أمَّرَ عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدَثهم سِنًّا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التَّفَقُّه فى الإسلام وتعلُّم القرآن ، فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إنى قد رأيت هذا الغلام منهم مِن أحْرَصِهِمْ على التفقُّه فى الإسلام وتعلُّم القرآن .

فلما فرغوا من أمرهم وتوجَّهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سُفيان بن حرب والمغيرة بن شُعْبَة فى هَدْم الطاغية ، فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يُقدِّمَ أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ، وأقام أبو سفيان بماله بذى الهُدُم[1] فلما دخل المغيرة بن شعبة علَاَها يضربها بالمِعوَلِ ، وقام قومه دونه ، بنو مُعتِّبٍ ، خَشيةَ أن يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عُرْوَة ، وخرج نساء ثقيف حُسَّراً[2] يَبْكِينَ عليها ، ويَقُلْنَ :

لَتُبْكَيَنَّ دَفَّاعْ[3] أسْلَمَهَا الرُّضَّاعْ[4]

لم يُحْسِنُوا المِصَاعْ[5]

---

(١) ماء لبلى وراء وادى القرى .

(٢) حسرا : جمع حاسرة ، وهى المكشوفة الوجه .

(٣) دفاع : هو صيغة مبالغة من الدفع ، وإنما سموا طاغيتهم دفاعا لأنهم كانوا يعتقدون أن الأصنام تدافع عنهم أعداءهم وتدفع عنهم البلاء .

(٤) الرضاع : جمع راضع ، وأردن بهم اللئام . من قولهم : لئيم راضع . أى لم يدافعوا عن طاغيتهم وتركوها للمغيرة يهدمها .

(٥) المصاع ، بكسر الميم : المجالدة والمضاربة بالسيوف .

ويقول أبو سفيان والمغيرةُ يضربها بالفأس : واهًا لَكِ[1] آهًا لَكِ ! .

فلما هدمها المغيرةُ وأخذ مالها وحُليَّها أرسل إلى أبي سفيان وحُلِيُّها مجموعٌ وما لها من الذّهب والجَزْع[2] .

وقد كان أبو مُلَيح بن عروة وقاربُ بن الأسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف — حين قُتل عروة — يريدان فراقَ ثقيفٍ ، وأن لا يُجامِعاهم على شيء أبدا ، فأسلما ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَوَلَّيَا مَن شِئتما » . فقالا : نتولَّى الله ورسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وخَالَكُما أبَا سُفيانَ بن حَربٍ ؟ » فقالا : وخالَنا أبا سفيان . فلما أسلم أهل الطائف ووَجَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أبُو مُلَيْح بن عروة أن يَقْضِيَ عن أبيه عُروَةَ دَيناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ . فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يا رسول الله

(١) واهالك : كلمة تقال فى معنى التأسف والحزن .

(٢) الجزع : ضرب من الخرز ، فيه بياض وسواد .

فاقضِه ـ وعُرْوَةُ والأسود أخوان لأب وأمّ ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ الأَسْوَدَ ماتَ مُشرِكًا . فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، لكن تصِلُ مسلما ذا قرابة ـ يعنى نفسه ـ إنما الدَّيْنُ عَلَيَّ ، وإنما أنا الذى أُطْلَبُ به . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دَيْنَ عروة والأسودِ من مال الطاغية .

فلما جمع المغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَمَرَكَ أن تقضىَ عن عروة والأسود دَينَهما . فقضى عنهما .

وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، مِن مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رسول الله إلى المؤمِنينَ . إنَّ عِضاهَ[1] وجٍّ وَصَيْدَهُ لا يُعْضَدُ[2] . مَن وُجِدَ يفعلُ شيئاً مِن

---

(١) العضاه : شجر له شوك ، واحدته عضاهة . ووج : اسم موضع بالطائف ، وهو بفتح الواو وتشديد الجيم .

(٢) يعضد : يقطع .

ذٰلكَ فإنَّه يُجلَدُ وتُنزَعُ ثِيابُه ، فإنْ تَعَدَّى ذٰلك فإنَّهُ يُؤخَذُ فيَبلُغَ به النَّبيُّ مُحَمَّــــد . وإنَّ هٰذَا أمْرُ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمْ .

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ فَيَظلِمَ نفسه فِيما أمَرَه بِهِ مُحَمَّدٌ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم » .

ذكر سنة تسع

وتسميتها سنة الوفود، ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف، وبايعت، ضَربتْ إليه وفودُ العرب من كل وجه[1].

وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بالإسلام أمر هذا الحيِّ من قريش، كانوا إمام الناس وهاديَهم، وأهلَ البيت والحرم، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام، وَقادَةَ العرب، لا يُنكرُونَ ذلك، وكانت قريش هى التى نَصَبَتْ لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافِه، فلما افْتُتِحَتْ مكة ودانت له قريش ودَوَّخَها الإسلام[2]، عَرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته، فدخلوا فى دين الله، كما قال الله عز وجل أفواجاً، يضربون إليه من كل وجه. يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (إذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ. وَرَأَيتَ النَّاسَ يَدْخُلُون فِى دِينِ اللهِ أَفْواجاً. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واستَغْفِرهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً) أى: فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره إنه كان توابا.

---

(١) قال ابن هشام: حدثنى أبو عبيدة أن ذلك فى سنة تسع، وأنها كانت تسمى سنة الوفود.

(٢) دوخها الإسلام: ذللها وأخضعها.

قدوم وفد بنى تميم
ونزول سورة الحُجُرَات

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب، فقدم عليه عُطَارِد بن حاجب بن زُرَارة بن عُدُس التميمى فى أشراف بنى تميم: منهم الأَقْرَعُ بن حابس التميمى، والزِّبْرِقَانُ بن بدر التميمى أحد بنى سعد، وعَمْرو بن الأهتَم، والحبحاب بن يزيد.

وفى وفد بنى تميم: نُعَيْم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم أخو بنى سعد، فى وفد عظيم من بنى تميم، ومعهم عُيَيْنَة بن حِصْن ابن حذيفة بن بدر الفزارى. وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن شَهِدَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنَيْناً والطائف، فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم، فلما دخل وفدُ بنى تميم المسجدَ نادَوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجُراته: أن اخرج إلينا يا محمد! فآذى ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك نفاخرك فأْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا. قال: «قَدْ أَذِنْتُ لِخَطِيبِكُمْ فَلْيَقُلْ». فقام عُطارد بن حاجب، فقال:

الحمد لله الذى له علينا الفضلُ والمَنّ، وهو أهله، الذى جعلنا مُلوكا، ووهبَ لنا أموالا عِظاماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ

أهل المشرق ، وأكثره عَدَداً ، وأيسَرهُ عُدَّةً ، فمن مثلُنا فى الناس ؟ ألسنا برءوس الناس وأُولِى فضلهم ؟ فمن فَاخرَنَا فليعدُدْ مثلَ ماعددنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنَّا نحيا[1] من الإكثار فيما أعطانا ، وإنَّا نُعْرَف بذلك . أقول هذه لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضَلَ من أمرنا .

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس أخى بنى الحارث بن الخزرج : « قُمْ فَأَجِبِ الرَّجل فى خُطبته » . فقام ثابت ، فقال :

الحمد لله الذى السموات والأرض خَلْقُه ، قضى فيهن أمرَه ، ووسِعَ كرسيَّهُ علمُه[2] ، ولم يك شىء قط إلا من فضله . ثم كان من قدرته أنْ جعلنا ملوكا ، واصطْفى من خير خلقه رَسُولاً أكرمَه نسباً[3] ، وأصدقَهُ حديثا ، وأفضلَه حسبا ، فأنزل عليه كتابه ، وائتمنه على خلْقه ، فكان خِيرة الله من العالمين . ثم دعا الناسَ إلى الإيمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذَوِى رحمه ، أكرمُ الناس

(١) يقال : حييت منه أحيا ؛ أى استحييت .

(٢) الكرسى : ماأحاط بالسموات والأرضين ، كما فسره السهيلى هنا .

(٣) أى أكرم الخلق .

حَسباً ، وأحسن الناس وجوها ، وخيرُ الناس فعَالاً . ثم كان أولَ الخلق إجابةً ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله نحن ، فنحن أنصار الله ، ووزراء رسوله ، نقاتل الناسَ حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً . أقول قولى هـــذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

فقام الزبرقان بن بدر ، فقال :

نحن الكرام فلاَ حيٌّ يعادِلُنا
منا المُلوكُ وفِينا تُنْصب البِيَعُ [1]

وكم قَسرنا من الأحياءِ كلِّهمُ
عند النِّهابِ وفضلُ العِزِّ يُتَّبَعُ

ونحنُ يطعِمُ عِندَ القَحطِ مُطعِمُنَا
مِنَ الشِّواءِ إذا لم يُؤنَسِ القَزَعُ [2]

بما ترَى النَّـــاسَ تَأْتينا سَراتُهم
مِن كُلِّ أرضٍ هُوِيّاً ثُمَّ نَصطنِعُ [3]

---

(١) البيع : مواضع الصلوات والعبادات للنصارى ، وقيل لليهود ، واحدتها بيعة ، بكسر الباء .

(٢) القزع : سحاب رقيق يكون فى الخريف ، واحدته قزعة ، بفتح القاف والزاى فيهما .

(٣) هويا : سراعا .

فننحرُ الكُومَ عَبْطًا فِى أُرُومَتِنا
للنَّازِلينَ إذا ما أُنزِلوا شَبِعُوا[١]

فلا تَرانا إلى حيٍّ نفاخِرُهم
إلَّا استَقَادُوا فكانوا الرَّأسَ يُقتَطَعُ

فَمَن يُفاخِرُنا فى ذاكَ نَعرفُه
فيرجعُ القومُ والأخبارُ تُستمَعُ

إنَّا أَبَيْنَا ولَا يأبَى لنا أحدٌ
إنَّا كذلكَ عِندَ الفخرِ نَرتَفِعُ

وكان حسّان غائبا ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حسّان : جاءنى رسوله فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنَعنا رسولَ اللهِ إذ حَلَّ وَسطَنا
عَلَى أنفِ راضٍ مِن مَعَدٍّ وراغِمِ

منعناهُ لمَّا حَلَّ بينَ بُيوتِنا
بِأسيافِنا مِن كلِّ باغٍ وظالِمِ

---

(١) الكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العظيمة السنام . وعبطا : أى من غير علة . والأرومة : الأصل ، أى إن الكرم أصيل فينا .

بِبَيْتٍ حَـريدٍ عِزُّهُ وثَرَاؤُهُ
بِجَابِيَةِ الجولَانِ وَسطَ الأعاجِمِ[1]

هَلِ المجدُ إلَّا السُّؤددُ العَوْدُ والنَّدَى
وجاهُ الملوكِ واحتِمالُ العَظائِمِ[2]

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم فقال ما قال عَرَضْت فى قوله[3] ، وقلت على نحو ما قال ، فلما فرغ الزبرقان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : « قُمْ يا حَسَّانُ فأجِبِ الرَّجُلَ فِيمَا قالَ » . فقام حسان ، فقال :

إنَّ الذَّوائِبَ مِن فِهرٍ وإخوتهم
قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً للنَّاسِ تُتَّبَعُ[4]

يَرْضَى بهم كُلُّ مَن كانت سَريرتُهُ
تَقوَى الإلٰهِ وكُلَّ الخَيرَ يَصطنِعُ

قَومٌ إذا حارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ
أو حاوَلُوا النَّفْعَ فى أشياعِهم نَفَعُوا

---

(١) الحريد : المنفرد ، لا يختلط بغيره لعزته . جابية الجولان : بلد بالشام . يريد أن جاههم متصل بجاه الغساسنة ملوك الشام .

(٢) السؤدد العود : المجد القديم .

(٣) أراد : قلت على مثل عروضه . والعروض ميزان الشعر .

(٤) الذوائب : الأعالى ، واحدتها ذؤابة ، وأراد ههنا السادة .

سَجِيةٌ تِلكَ مِنهم غَيرُ مُحْدَثَةٍ

إنَّ الخلائِقَ فَاعلَمْ شَرُّها البِدَعُ[1]

إن كانَ فى النَّاسِ سَبَّاقونَ بَعْدَهمُ

فَكُلُّ سَبقٍ لِأدنى سَبقِهم تَبَعُ

لا يَرقَعُ النَّاسُ ما أوْهت أكُفُّهمُ

عِنْدَ الدِّفاع ولا يُوهُونَ ما رَقَعُوا[2]

إنْ سابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبقُهمُ

أو وَازَنُوا أهْلَ مَجْدٍ بالنَّدى مَتَعُوا[3]

أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحى عِفَّتُهم

لَا يَطْبَعُونَ ولا يُرْدِيهم طَمَعُ[4]

لَا يَبْخَلُونَ عَلَى جارٍ بِفضلِهمُ

ولا يَمَسُّهمُ من مَطمَعٍ طَبَعُ[5]

إذا نَصَبْنَا لِحىٍّ لَمْ نَدِبَّ لهمْ

كما يَدِبُّ إلى الوَحشِيَّةِ الذَّرَعُ[6]

---

(١) السجية : الطبيعة والخليقة .

(٢) أوهت : أضعفت وهدمت .

(٣) متعوا : زادوا وظهروا عليهم ، من قولهم متع النهار ، إذا ارتفع .

(٤) لا يطبعون : أى لا يتدنسون .

(٥) الطبع ، بفتح الطاء والباء : الدنس .

(٦) نصبنا : أظهرنا لهم العداوة ولم نسرها فى أنفسنا . والذرع ، بفتحتين : ولد البقرة الوحشية .

نَسمُو إذا الحربُ نَالَتنا مَخالِبها
إذا الزَّعانفُ من أظفارِها خَشَعُوا[1]
لا يَفْخَرُونَ إذا نَالُوا عَدُوَّهُمُ
وَإنْ أُصِيبُوا فلا خُورٌ ولَا هُلُعُ[2]
كَأَنَّهم فى الوَغَى والموتُ مُكْتَنِعٌ
أُسْدٌ بِحَلْيَةَ فى أرساغِها فَدَعُ[3]
خُذْ مِنْهُمُ ما أتَى عَفوًا إذا غَضِبُوا
ولا يَكُنْ هَمُّكَ الأمرَ الَّذى مَنَعُوا[4]
فإنَّ فى حَرِبهِمْ فَاتْرُكْ عداوَتَهُمْ
شَرًّا يُخَاضُ عليهِ السُّمُّ والسَّلَعُ[5]
أكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللهِ شِيعَتُهُمْ
إذَا تَفَاوَتَتِ الأهــواءُ والشِّيَعُ

---

(١) نسمو : ننهض . الزعانف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : خضعوا وتذللوا .

(٢) الخور : جمع أخور ، وهو الضعيف . والهلع : جمع هلوع ، وهو الجبان الخائف .

(٣) مكتنع : دان قريب ؛ تقول : اكتنع منه ، إذا دنا . وحلية : اسم موضع تنسب إليه الأسود . والأرساغ : جمع رسغ ، وهو موضع مربط القيد . وفدع : اعوجاج إلى ناحية .

(٤) عفوا : أى من غير طلب ولا مشقة .

(٥) السلع : نبات مسموم .

أهدَى لهم مِدحتى قلبٌ يوازِرُهُ
فِيما أُحِبُّ لِسانٌ حائِكٌ صَنَعَ[1]

فإنهمْ أفضلُ الأحياءِ كلِّهِمُ
إن جدَّ بالنَّاس جِدُّ القولِ أو شَمَعوا[2]

فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوَّزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم[3] .

وكان عمرو بن الأهتم قد خلَّفه القوم فى ظَهْرِهم[4] ، وكان أصغرهم سنًّا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يارسول الله ، إنه قد كان رجلٌ منَّا فى رحالنا ، وهو غلام حَدَثٌ — وَأَزْرَى به — فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم — حين بلغه أن قيسا قال ذلك — يهجوه :

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْبَاءِ تَشْتِمُنى
عِندَ الرَّسُول فلمْ تَصْدُق ولم تُصِبِ[5]

---

(١) صنع ، بفتح الصاد والنون : صانع ماهر يتقن ما يصنعه ويحسن عمله .

(٢) شمعوا : هزلوا ، وأصل الشمع الطرب واللهو ، ومنه قولهم : جارية شموع ، إذا كانت كثيرة الطرب .

(٣) الجوائز : العطايا ، واحدتها جائزة .

(٤) ظهرهم : إبلهم .

(٥) الهلباء : شعر الذنب ، وقد استعاره ههنا للإنسان ، كنى بذلك عن خلفه .

سُدْناكُمُ سُودَداً رَهْواً وَسُودَدُكُمْ

باد نَوَاجِذُه مُقْعٍ عَلَى الذنبِ [1]

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : (إنَّ الَّذينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ) .

---

(١) رهوا ، بالراء المهملة : متسعا ، والنواجذ : الأسنان ، واحدها ناجذ .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

فى الوفادة عن بنى عامر

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر ، فيهم عامر بن الطُّفَيْل ، وأربد بن قَيْس بن جَزْء بن خالد بن جعفر ، وجبار ابن سَلْمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم ، وشياطينهم . فقدمَ عامرُ بن الطفيل عَدُوُّ الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يريد الغدْرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تَتْبَعَ العربُ عَقِبى ، أَفأنا أتبع عَقِب هذا الفتى من قريش ؟ ثم قال : لأرْبَدَ : إذا قدمنا على الرجل فإنى سأشغل عنكَ وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسيف [١] .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يامحمد ، خالّنى [٢] ، قال : « لا وَاللهِ حتى تُؤمِنَ باللهِ وحده » قال : يامحمد ، خالّنى . وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به ،

---

(١) فاعله بالسيف : يريد اقتله ، ويروى « فاغله بالسيف » بالغين المعجمة ، وهو من الغيلة ، وهى القتل خديعة وخفية .

(٢) خالنى : يروى بكسر اللام مخففة ، وبتشديدها مكسورة . فالأول معناه تفرد لى خاليا حتى أحدثك على انفراد ، والثانى معناه اتخذنى خليلا ، من المخالة ، وهى الصداقة .

فجعل أربدُ لا يُحِير شيئاً[1] ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خَالِّني ، قال : « لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له ». فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالا ! فلما ولّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللّهُمَّ اكفنى عامرَ بن الطُّفَيْلِ » .

فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! ! أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ هو أخْوَفُ عندى على نفسى منك ، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً ! قال : لا أبا لَكَ ، لا تَعْجَلْ علىَّ ، والله ماهممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخَلْتَ بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بَعَثَ الله على عامر بن الطفيل الطاعونَ فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل يقول : يا بَنى عامر ، أَغُدَّةً كَغُدَّة[2] البَكر فى بيت امرأة من بنى سلول ؟ !

---

(١) أى لا يرد جوابا .

(٢) الغدة : داء يصيب البعير فى حلقه فيموت منه ، وهو شبيه بالذبحة التى تصيب الإنسان . والبكر . بالفتح : الفتى من الإبل . وسلول : قوم يصفهم العرب باللؤم والدناءة ، قال السموءل :

وإنا أناس لا نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول

ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بنى عامر شاتين، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ قال: لا شىء، والله لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله!.

فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما. وكان أربد بن قيس أخا لبيد ابن ربيعة لأمه، فقال لبيد يبكى أربد:

مَا إنْ تُعَدِّى المَنُونُ مِنْ أَحَد ... لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ (١)
أخشَى عَلَى أربدَ الحتُوفَ ولا ... أَرهَبُ نوءَ السِّماكِ والأَسدِ
فعَيْنُ هلاَّ بَكَيْتِ أَرْبَدَ إذْ ... قُمْنَا وقامَ النِّساءُ فى كَبَدِ (٢)
إنْ يَشْغَبُوا لَا يُبالِ شَغْبَهمُ ... أوْ يَقْصِدُوا فى الحُكُومِ يَقْتَصِدِ
حُلْوٌ أَرِيبٌ وفى حلاَوَتهِ ... مُرٌّ لَطِيفُ الأَحشاءِ والكَبِدِ (٣)
وعَيْنِ هلاَّ بَكَيْتِ أربدَ إذْ ... ألوَتْ رِياحُ الشِّتاءِ بالعَضَدِ (٤)

---

(١) تعدى: أراد به تترك وتتجاوز.

(٢) الكبد، بفتح الكاف والباء: الجهد والمشقة.

(٣) الأريب: العاقل.

(٤) العضد: الشجر ذهبت الريح بأوراقه. وهذا كناية عن الجدب فى الشتاء.

وأصبحتْ لاقحاً مُصرَّمَةً حينَ تجلّتْ غوابرُ المُدَدِ[1]
أشجعُ منْ ليثِ غابةٍ لَحِمٍ ذُو نَهْمةٍ فى العُلا ومُنْتقَدِ[2]
لا تَبْلُغُ العينُ كلَّ نَهْمتها ليلةَ تُمسى الجيادُ كالقِدَدِ[3]
الباعثُ النَّوْحَ فى مآتمه مثلَ الظِّباءِ الأبكارِ بالجَرَدِ[4]
فجّعنى البرقُ والصَّواعقُ بالـ فارسِ يومَ الكريهةِ النَّجُدِ[5]
والحاربِ الجابرِ الحَريبِ إذا جاءَ نكيباً وإنْ يَعُدْ يَعُدِ[6]
يَعْفُو علَى الجهدِ والسُّؤالِ كما
يُنْبِتُ غيثُ الرَّبيعِ ذُو الرَّصَدِ[7]

---

(١) المصرمة : التى لا لبن لها . والغوابر : البقايا ، واحدتها غابرة .

(٢) لحم ، بفتح فكسر : كثير الأكل للحم . وذو نهمة : أى له ولوع وحب فى بلوغ غاية الشيء ، ويروى « ذو نهية » بالياء المثناة ، وهى العقل وجمعها نهى . ومنتقد ، أى بصر بالأمور .

(٣) القدد ، بكسر ففتح : جمع قدة ، وهى السير الذى يقطع من الجلد . شبه الخيل بالسير فى نحولها وضعفها .

(٤) النوح : جماعة النساء النائحات . المآتم : جمع مأتم ، وهو جماعة النساء يجتمعن فى خير أو شر . والجرد : الأرض لا نبات فيها .

(٥) النجد ، بفتح فضم : الشجاع .

(٦) الحارب : السالب . والحريب : المسلوب . والنكيب : المنكوب الذى أصابته نكبة .

(٧) الجهد : المشقة ، يريد أنه يعطى ويكثر عطاؤه مع المشقة . والرصد : الكلأ القليل .

كُلُّ بَنى حُرَّةٍ مَصــيرهُم

قُلٌّ ، وَإن أَكثَرت مِنَ الْعَدَدِ[1]

إنْ يُغْبَطُوا يَهْبِطُوا وإنْ أَمِرُوا

يَوماً فَهَمْ لِلْهلاك والنَّفَـدِ[2]

---

(١) قل ، بضم القاف : أى قليل .

(٢) يغبطوا : هو من الغبطة ، وهو كناية عن حسن حالهم حتى يغبطهم الناس . يهبطوا : ينزلوا ، أى تضعف حالهم بعد ذلك ويلحقهم الذل بعد العزة . وأمروا ، بكسر الميم : كثروا . والنفد : انقطاع الشيء وزواله .

قدوم الجارود في وَفدِ عبد القيس

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجَارُودُ بن عمرو بن حَنَش أخو عبد القيس[1] .

عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّمه ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغَّبه فيه ، فقال : يا محمد ، إنى قد كنت على دين ، وإنى تاركٌ دينى لدينك ، أفتضمن لى دينى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ أنا ضامِن لكَ أنْ قدْ هدَاكَ الله إلى ما هو خَيرٌ منه » .

فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الُحمْلَان ، فقال : « والله ما عندِى ما أحمِلُكُمْ عليه » . قال : يارسول الله ، فإنَّ بيننا وبين بلادنا ضَوَالَّ من ضوَالِّ الناس[2] أفنتبلغّ عليها إلى بلادنا ؟ قال : « لا إياكَ وإياَّها فإنَّما تِلك حَرَقُ النَّار[3] » .

فخرج من عنده الجارودُ راجعاً إلى قومه ، وكان حسنَ الإسلام صُلباً على دينه حتى هلك . وقد أدرك الردَّة .

---

(١) قال ابن هشام : « الجارود : ابن بشر بن المعلى فى وفد عبد القيس ، وكان نصرانياً » .

(٢) يعنى الإبل الضالة .

(٣) أى لهب النار ، أى تؤدى إلى ذلك .

فلما رجع من قومه مَنْ كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغَرُور بن المنذر بن النعمان بن المنذر، قام الجارود فتكلّم فتشهّد شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام، فقال: أيها الناس إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وأُكَفِّر من لم يشهد[1].

قدوم بنى حنيفة، ومعهم مُسَيْلِمَة الكذَّاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَفْدُ بنى حنيفة، فيهم مُسَيْلِمَةُ بن حَبيب الحنفى الكذاب[2].

فكان منزلهم فى دار بنت الحارث[3] امرأةٍ من الأنصار، ثم من بنى النجار. فحدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تَسْتُرُهُ بالثياب، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ فى أصحابه، معه عَسِيبٌ من سَعَفِ النخل، فى رأسه خُوَصات[4]، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه

---

(1) قال ابن هشام: «ويروى وأكفى من لم يشهد».

(2) قال ابن هشام: «مسيلمة ابن ثمامة، ويكنى أبا ثمامة».

(3) قال أبو ذر: «يقال: إن هذه المرأة اسمها كيسة بنت الحارث».

(4) العسيب: جريد النخل. والسعف، بفتحتين: أغصان النخلة. والخوصات: جمع خوصة، ورق النخل والدوم.

بالثياب كلمه وسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ سَأَلْتَنى هذا العَسِيبَ مَا أعطَيتكه » .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا .

زعم أن وفد بنى حنيفة أَتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخَلَّفُوا مُسَيْلِمَة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد خَلَّفْنَا صاحبا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : « أمَا إنَّهُ ليسَ بِشَرِّكُم مكاناً » أى لحفظه ضيعة أصحابه ، ذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارْتَدَّ عَدوُّ الله ، وتنبأ ، وتكذّب لهم ، وقال : إنى قَدْ أشرِكْتُ فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : « أما إنه ليس بشركم مكانا » ! ما ذاك إلا لما كان يعلم أنّى قد أشرِكْتُ فى الأمر معه . ثم جعل يَسْجَعُ لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن :

---

(١) الصفاق : مارق من البطن .

لَقَدْ أنعمَ الله على الْحُبْلَى ، أَخْرَجَ منها نَسَمَةً تَسْعَى ، من بين صِفاقٍ وَحشا .

وأحلَّ لهم الخمر والزنا ، ووَضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبيّ .

فأصفقت معه حنيفة على ذلك[1] . فالله أعلم أيُّ ذلك كان .

---

(١) أصفقت معه : اجتمعوا عليه .

أمر عَدىٍّ بن حاتم

وأما عَدىُّ بن حاتم فكان يقول — فيما بلغنى — : ما من رجل من العرب كان أشدَّ كراهيةً لرسول الله صلى عليه وسلم حين سمع به منّى . أمّا أنا فكنت امرأً شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت أسيرُ فى قومى بالمِرْباع[1] ، فكنت فى نفسى على دين ، وكنت ملكًا فى قومى لما كان يُصنَع بى ، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربىّ وكان راعيا لإبلى : لا أبالكَ : أعدِدْ لى من إبلى أجمالا ذُلُلاً[2] ، سِمَاناً فاحتبِسها قريباً منى ، فإذا سمعتَ بجيشٍ لمحمد قد وطئ هذه البلادَ فآذِنِّى[3] . ففعل .

ثم انه أتانى ذاتَ غداةٍ فقال : يا عدىُّ ، ما كنتَ صانعاً إذا غَشيتكَ خيلُ محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت راياتٍ ، فسألتُ عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . فقلت : فَقَرِّبْ إلىّ أجمالى . فقرَّبها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحقُ بأهل دينى من النصارى بالشام ، فسلكت الجوشِيَّة[4] — ويقال : الحُوْشية ، فيما قال

---

(١) أى آخذ الربع من الغنائم ، وكان العرب يجعلون ذلك للرئيس .

(٢) ذللا : جمع ذلول ، وهو الجمل السهل الذى قد ارتاض .

(٣) أى أعلمنى . آذنه : أعلمه .

(٤) الجوشية : جبل للضباب قرب ضرية من أرض نجد .

ابن هشام — وخَلَّفتُ بنتاً لحاتم فى الحاضر [1] ، فلما قدمتُ الشـام أقمت بهـا ، وتُخالِفنى خيلٌ لرسـول الله صلى الله عليه وسلم فتصيب ابنةَ حاتم فيمن أصابت ، فقُدِم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيء . وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، فجُعِلتْ بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يُحْبَسنَ فيها ، فمرَّ بهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلَةً . فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علىَّ مَنَّ الله عليك ! قال « ومَنْ وافدُكِ » ؟ قالت : عدِيُّ بن حاتم . قال : « الفارُّ منَ الله ورُسوله » ؟ قالت : ثمَّ مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مَرَّ بى ، فقلت له مثلَ ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس ، حتى إذا كان بعد الغد مَرَّ بى ، وقد يئستُ منه ، فأشار إلىَّ رُجلٌ من خلفه : أنْ قُومِى فكلِّميه . فقمت إليه ، فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُنْ علىَّ مَنَّ الله عليك . فقال صلى الله عليه وسلم : قَدْ فَعَلْتُ فلا تَعْجَلى بخُروجٍ حَتَّى تَجدِى من قِومك من يَكونُ لك ثِقـةً حتَّى يُبلِّغكِ إلى بلادِكِ ثُمَّ آذنِينِى » . فسألتُ عن الرجل الذى أشار إلىَّ أن أكلمه ، فقيل : على بن أبى طالب رضوان الله عليه . وأقمت حتَّى قدم ركب من بَلِىّ أو

(1) اسمها : سفانة فيما يرجح السهيلى . والحاضر : الحى .

قُضَاعة، وإنما أريد أن آتىَ أخى بالشام. فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يارسول الله، قد قدم رهْطٌ من قومى لى فيهم ثقة وَبلاغ. فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحملنى، وأعطانى نفقة، فخرجتُ معهم حتى قدمت الشام.

قال عدىّ: فوالله إنِّى لقاعِدٌ فى أهلى إذ نظرتُ إلى ظَعينةٍ[1] تَصُوبُ إلىَّ تؤُمّنا فقلت: ابنة حاتم. قال: فإذا هى هى، فلما وقفتْ علىَّ انْسَحَلَتْ[2] تقول: القاطع، الظالم، احتملتَ بأهلك وولدك وتركتَ بقية والدك عَوْرَتَكَ! قلت: أىْ أُخَيَّةُ لا تقولى إلا خيرا، فوالله مالى من عذر، لقد صنعتُ ما ذكرتِ.

ثم نزلَتْ، فأقامت عندى، فقلت لها — وكانت امرأة حازمة: ماذا تَرَيْنَ فى أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تَلْحَقَ به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضلُه، وإن يكن ملكا فلن تَذِلَّ فى عِزِّ الْيَمَنِ وأنت أنت! قلت: والله إن هذا الرَّأىُ.

فخرجتُ حتى أَقْدَمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ، فدخلت عليه وهو فى مسجده، فسلّمت عليه، فقال: مَنِ الرَّجُلُ؟

---

(١) الظعينة: المرأة فى هودجها، وقد يقال لها ظعينة وإن لم تكن فى الهودج. وتصوب إلى: تقبل نحوى. وتؤمنا: تقصدنا.

(٢) انسحلت: أخذت فى اللوم ومضت فيه مجدة.

فقلت : عديّ بن حاتم . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بى إليه[1] إذ لقيْته امرأةٌ ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلِّمه فى حاجتها ، قلتُ فى نفسى : والله ما هذا بملك .

ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا دخل بى بيته تناول وِسَادَةً من أدَمٍ محشُوَّةً ليفا ، فقذفها إلىّ ، فقال : اجلِس علَى هذه . قلت : بل أنت فاجلسْ عليها ، فقال : بَلْ أنْتَ . فجلستُ عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض .

قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمرِ مَلِك ، ثم قال : إيهِ يا عَدِىّ بنَ حاتم ، ألَم تكُ رَكُوسِيًّا[2] ؟ قلت : بلى . قال : « أوَلَمْ تَكُنْ تسيرُ فى قَومِكَ بالمِربَاع ؟ قلت : بلى . قال : « فإنَّ ذلِكَ لَمْ يكن يحِلُّ فِى دينِك » . قلت : أجَلْ والله ! وعرفتُ أنه نبىٌّ مرسل يعلم ما يُجْهل . ثم قال :

« لَعَلَّكَ يَاعَدِىُّ إنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكنَّ المالُ أن يفيض فيهم حتّى لا يوجد مَن يأخذه . ولعلك إنَّما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوِّهم وقلَّة

---

(١) عمد إليه : قصد إليه .

(٢) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .

عددهم ، فوالله ليوشكنَّ أن تَسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتَّى تزور هذا البَيت لا تخَافُ . ولعلك إنما يمنعكَ من دخولٍ فيه أنَّك ترى أن الملكَ والسُّلطان فى غيرهم ، وأيُمُ الله ليوشكنَّ أن تسمع بالقُصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم » .

قال : فأسلمت .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، ووالله لتكونَنَّ : قد رأيت القصورَ البيض من أرض بابل قد فُتِحت ، وقد رأيت المرأة تَخرج من القادسية على بعيرِها لا تخاف حتَّى تحج هذا البيت . وايمُ الله لتكونَنَّ الثالثة : لَيَفِيضَنَّ المالُ حتَّى لايوجد من يأخذه .

قدوم فَرْوَةَ بن مُسَيك المُرادىّ

قال ابن إسحاق :

وقدم فَرْوَةُ بن مُسَيْكٍ المُرَادِىُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مُفَارِقًا لملوك كِنْدة ، ومباعِداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان قبيل الإسلام بين مُرَاد وهَمْدَان وَقْعَةٌ أصابت فيها همدان من مرادٍ ما أرادوا ، حتى أثْخَنُوهم[1] ، فى يوم كان يقال له يوم الرَّدْم ، فكان الذى قاد هَمْدَان إلى مرادٍ الأجدع بن مالك ، فى ذلك اليوم[2] .

ولما توجه فَرْوَةُ بن مُسَيْك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقًا لملوك كندة قال :

لَمَّا رَأيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضَتْ
كالرِّجْلِ خَانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نَسَائِها[3]
قَرَّبْتُ رَاحِلَتِى أَؤُمُّ مُحَمَّداً
أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا[4]

---

(١) أثخنوهم أكثروا فيهم القتل .
(٢) قال ابن هشام : الذى قاد همدان فى ذلك اليوم مالك بن حريم الهمدنى .
(٣) النسا : عرق مستبطن فى الفخذ .
(٤) أؤم : أقصد ، ثرائها يعنى به الجود والعطية . ويروى « ثنائها » وهو الذى يتحدث به الرجل من خير أو شر .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى: يَا فَرْوَةُ، هَلْ سَاءَكَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرَّدْمِ؟ قال: يا رسولَ الله، مَن ذا يصيبُ قومه مثلُ ما أصاب قومى يوم الرَّدم لا يسوءه ذلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له: «أَمَا إنَّ ذلك لم يَزِدْ قومَك فى الإسلام إلاَّ خيراً».

واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على مُراد وزُبَيْد ومَذْحِج كلِّها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصَّدَقة، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قدوم عَمْرو بن مَعْدِ يكرِب

فى أناس من زُبَيْد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرُو بن مَعْدِيكَرب فى أناس من بنى زُبَيْد، فأسلم، وكان عَمْرٌو قد قال لقيس بن مَكْشُوح المُرَادِيّ — حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم —: ياقَيْسُ، إنّك سيدُ قومك، وقد ذُكر لنا أنّ رجلاً من قريش يقال له محمد، قدخرج بالحجاز يقول: إنه نبى، فانطلق بنا إليه حتّى نعلم عِلْمه، فإنْ كان نبياً كما يقول فإنه لن يَخفَى عليك،وإذا لقيناه اتّبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه. فأبى عليه قيْسٌ ذلك، وسَفَّه رأيه، فركب عمرو ابن معديكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم وصَدَّقه، وآمن به. فلمّا بلغ ذلك قَيْسَ بن مَكْشُوح أوعدَ عَمْرًا وتحَطَّمَ عليه[1]، وقال: خالفنى وترك رأيى، فقال عمرو بن معديكرب فى ذلك:

أمَرْتُكَ يَوْمَ ذِى صَنْعَا ءِ أمْرًا بَادِيًا رَشَدُه[2]

أمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللـ ـهِ والمَعْرُوفِ تَتَّعِدُه

خَرَجْتَ مِنَ المُنَى مِثْلَ الـ ـحُمَيِّرِ غَرَّهُ وَتِدُه

---

(١) تحطم عليه: اشتد عليه.

(٢) ذو صنعاء: بلدة باليمن، وهى صنعاء. والعرب يزيدون «ذو» فى كثير من أعلام البلدان.

تَمَنَّانِى عَلَى فَرَسٍ عليهِ جالسًا أَسَدُه

عَلَىَّ مُفَاضَةٌ كالنِّهْـ ىِ أَخْلَصَ ماءَه جَدَدُه[1]

تَرُدُّ الرُّمْحَ مُنْثَنِىَ الـ سِّنَانِ عَوَائِرًا قِصَدُه[2]

فَلَوْ لاقَيْتَنِى لَلَقِيـ تَ لَيْثًا فوقَه لِبَدُه[3]

تُلَاقِى شَنْبَثًا شَثْنَ الـ بَرَاثِنِ نَاشِزًا كَتَدُه[4]

يُسَامِى القِرْنَ إنْ قِرْنٌ تَيَمَّمَهُ فَيَعْتَضِدُه[5]

فيأخُذُه فيرفعُه فَيَخْفِضُه فَيَقْتَصِدُه[6]

فَيَدْمَغُه فَيَحْطِمُه فَيَخْضِمُه فَيَزْدَرِدُه[7]

ظَلُومُ الشِّرْكِ فِيما أَحْـ رَزَتْ أنيابُه ويدُه

---

(١) المفاضة : الدرع الواسعة . والنهى : الغدير . والجدد : الأرض الصلبة .

(٢) عوائر : أى متطايرة . والقصد ، بكسر القاف وفتح الصاد : جمع قصدة ، وهو ما تكسر من الرمح .

(٣) اللبد ، بكسر ففتح : جمع لبدة ، وهى ما على كتفى الأسد من الشعر .

(٤) الشنبث ، بزنة جعفر : الذى يتعلق بقرنه ولا يزايله . وشثن : أى غليظ الأصابع . والبراثن : جمع برثن ، وهو للسبع بمنزلة الإصبع للإنسان . وناشزا : مرتفعا . والكتد : ما بين الكتفين .

(٥) يسامى القرن : يعلوه ويرتفع عليه . والقرن ، بالكسر : الذى ينازلك فى الشجاعة . وتيممه : قصده . ويعتضده : يجعله تحت عضده ، معناه يفوقه ويتغلب عليه .

(٦) يقتصده : يقتله .

(٧) يدمغه : يخرج دماغه . ويحطمه : يكسره . ويخضمه : يأكله . ويزدرده : يبتلعه .

فأقام عمرو بن معديكرب فى قومه من بنى زُبَيْد ، وعليهم فَرْوَة ابن مُسَيْك ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتَدَّ عَمْرو بن معديكرب ، وقال حين ارتد :

وَجَدْنَا مُلْكَ فَـرْوَةَ شَرَّ مُلْكٍ
حِمارًا سـاف مَنْخِرُهُ بثَفْرِ[1]
وَكُنْتَ إذا رأيتَ أبا عُمَيرٍ
تَرَى الحُوَلاءَ مِن خُبثٍ وغَدر[2]

(١) ساف : شم ، والثفر فى البهائم بمنزلة الرحم فى الإنسان .

(٢) الحولاء : الجلدة التى يخرج فيها ولد الناقة .

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة

قال ابن إسحاق :

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعثُ بن قيس فى وفد كِنْدَةَ .

فحدثنى الزُّهرِىُّ ابن شهاب أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمانين راكباً من كِنْدَةَ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده وقد رَجَّلُوا جُمَمَهُمْ(١) ، وتكَحَّلوا ، عليهم جُبَبُ الحِبَرَة(٢) ، وقد كَفَّفُوها بالحرير(٣) ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم تُسْلِمُوا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بالُ هذا الحريرِ فى أعناقكم ؟ قال : فشقُّوه منها ، فألقوه . ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسولَ الله ، نحن بنو آكل المُرَار ، وأنت ابن آكل المُرار . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ناسِبُوا بهذا النَّسبِ العبَّاسَ بنَ عبد المطَّلب وربيعة بن الحارثِ — وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين ، وكانا

---

(٣) رجلوا جممهم : يريد مشطوا شعورهم وسرحوها . والجمم ، جمع جمة : وهى مجتمع شعر الرأس .

(٤) الجبب : جمع جبة ، وهى ضرب من الثياب . والحبرة : ضرب من برود اليمن ذو خطوط

(٥) كففوها : أى جعلوا لها طرازا .

إذا شاعا[1] فى بعض العرب فسُئِلا ممَّنْ هُمَا قالا : نحن بنو آكل المرار ! يتعززان بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكا — ثم قال لهم : لا ، بَل نحنُ بنُو النَّضر بنِ كنانة ، لانقْفُو[2] أُمَّنا ولا ننتفى مِن أبينا . فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رَجُلًا يقولها إلّا ضربته ثمانين .

(١) شاعا : بعدا .

(٢) لا نقفو أمنا : لا نتبعها فى نسبها ، لأن نسب الرجل إلى أبيه لا إلى أمه .

قدوم صُرَد بن عبد الله الأزْدِيّ

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرَدُ بن عبد الله الأزدى، فأسلم وحسُن إسلامه، فى وَفْدٍ من الأزد، فأمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَن أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم مَن كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن.

فخرج صُرِد بن عبد الله يسيرُ بأمر رسول الله صلى الله عليه حتى نزل بِجُرش، وهى يومئذ مدينة مُغْلقةٌ وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضَوَت إليهم[1] خَثْعَمُ، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريبا من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلا، حتَّى إذا كان إلى جبلٍ لهم يقال له شكر ظنَّ أهل جُرَش أنه إنما ولّى عنهم منْهزِما، فخرجوا فى طلبه، حتى إذا أدركوه عَطَفَ عليهم فقتلهم قتلا شديدا.

وقد كان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرْتَادَان وينظران، فبيناهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيةً بعد صلاة العصر إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) ضوت: انضمت ولجأت واتصلت بهم.

بأىِّ بلادِ اللهِ شَكْر ؟ فقام الُجرَشِيان فقالا : يارسول الله ، بلادنا جَبَلٌ يقال له كَشْر — وكذلك يسميه أهل جُرَش فقال : « إنَّهُ لَيس بكَشْر ولكنه شَكْر » . قال : فما شأنه يارسول الله ؟ قال : « إنَّ بُدْنَ اللهِ لَتُنحَر عنده الآن » .

فجلس الرجلان إلى أبى بكر ، أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما !! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لَيَنْعَى لكما قومكما ، فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسألاه أن يدعو الله أن يرفَع عن قومكما . فقاما إليه فسألاه ذلك . فقال : اللَّهُمَّ ارفعْ عنهم ! فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صُرَد بن عبد الله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

وخرج وفدُ جُرَش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلموا ، وَحَمَى لهم حِمىً حولَ قريتهم على أعلام معلومة للفَرس ، والراحلة[1] ولِلْمُثيرةِ[2] بقَرةِ الحَرْث ، فمن رعاه من الناس فماله[3] سُحت .

---

(١) المثيرة : البقرة ، لأنها تقلب الأرض .

(٢) الراحلة : واحدة الرواحل ، وهى الإبل .

(٣) سحت : حرام لايحل له أن يأكله .

قُدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوكِ حِمْيَر، مَقْدَمَه من تَبُوك، ورسولُهم إليه[1] بإسلامهم: الحارثُ بن عبد كُلَال، ونُعَيم بن عبد كُلَال، والنُّعمان قَيْلُ ذى رُعَيْن[2] ومَعافر وهَمْدان، وَبعث إليه زُرْعَةُ ذُويزَنَ، مالكَ بنَ مُرَّةَ الرهَّاوىَّ بإسلامهم، ومفارقتهم الشرك وأهله، فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله النبى، إلى الحارِث ابن عبد كلَال، وإلى نُعَيم بن عبد كُلال، وإلى النُّعمانِ قَيل ذِى رُعَين ومَعافر وهَمدان. أما بعد ذلكم فإنِّى أَحْمَدُ إليكم الله الذى لا إلٰهَ إلا هو. أمَّا بعدُ فإنَّه قد وقعَ بنا رسولُكم مُنقَلَبَنَا مِن أرْض الرومِ، فلَقِينَا بالمدينةِ، فبلغَ ما أرسلتم بِهِ، وخَبَّرنا ما قِبلَكُمْ وَأَنبأَنَا بإسلامِكم وقتلِكم المشركينَ، وأنَّ الله قَد هَدَاكم بهُداه إن أصلحتم وأطعتم الله

(١) فى بعض النسخ « رسل ملوك » بصيغة الجمع، و « رسلهم إليه » كذلك. والرسول من الألفاظ التى يستوى فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث.

(٢) القيل، يقال: هو الملك، ويقال: بل هو الذى دون الملك الأعلى، وهذا هو الأكثر.

ورسولَهُ وَأقمتم الصَّلاة وآتيتُم الزَّكاة وأَعْطَيتم من المغانمِ خُمُسَ اللهِ وسهمَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وصفِيَّه[1] وَمَا كُتِبَ عَلَى المؤمنينَ من الصَّدَقَة، مِن العقارِ[2] عُشرَ ما سقتِ العينُ وسقت السَّماء، وعلى ما سقَى الغَرب[3] نِصفَ العُشرِ. وإنَّ فى الإبلِ الأَرْبَعِينَ ابنَةَ لَبُونٍ، وفى ثلاثين من الإبل ابنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ، وفى كُلِّ خَمْسٍ من الإبل شاةٌ، وفى كلِّ عَشرٍ مِن الإبلِ شاتانِ وفى كُلِّ أَرْبَعِينَ من من البقر بقَرَةٌ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيع جَذَع أو جَذَعة[4]، وفى كلِّ أربعين مِنَ الغَنَم سَائِمَةٍ وحدَها شاةٌ. وإنها فريضةُ الله التى فَرَضَ على المؤمنين فى الصَّدَقة، فمن زادَ خيراً فهو خير له، ومن أدَّى ذلك وأشهَدَ على إسلامه وظَاهَر المؤمنين[5] عَلَى المشركين فإنه من المؤمنين: له مالهم، وعليه ماعليهم، وله ذِمَّةُ الله وذِمَّة رسوله. وإنه من أَسْلَمَ من يهودىٍّ أَو نَصرَانى فإنَّه من المؤمنين: له مالهم، وعليه ما عليهم. ومَن كان على يَهُودِيَّتِه أَو نَصرانِيته فإنه لايُرَدُّ عنها، وعليه

---

(١) الصفى: ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل أن تقسم الغنائم.

(٢) العقار، ههنا الأرض، وهو بفتح العين.

(٣) الغرب، بفتح وسكون: هى الدلو العظيمة.

(٤) التبيع: ما استكمل سنة من ولد البقر، فإذا استكمل سنتين فهو جذع.

(٥) ظاهر المؤمنين: عاونهم وقواهم وكان معهم على من سواهم.

الجِزْيَة على كل حالم ذكرٍ أو أنثى ، حُرٍّ أو عبد ، دينارٌ وافٍ من قيمة المَعَافر[1] أو عِوَضُه ثيابا ؛ فَمَنْ أدَّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذِمَّة الله وذمة رسوله ، ومن منَعه فإنهّ عدوٌّ لله ولرسوله .

أما بعد : فإن رسول اللهِ محمداً النبي أرسل إلى زُرْعَة ذِى يزن : أنْ إذا أتاكم رُسُلِى فأُوصِيكُمْ بهم خيراً : مُعَاذُ بن جَبَلٍ ، وعبد الله بن زَيْد ، ومالكُ بن عُبادة ، وعُقبةُ بن نمِر ، ومالكُ بن مُرَّة ، وأصحابهم . وأنِ أجْمَعُوا ما عِندكم من الصَّدقة والِجزيةِ من مَخَاليفكم[2] ، وأبلِغُوها رُسلى ، وإنّ أميرهم مُعَاذُ بن جبل ، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلا راضيا .

أما بعد ؛ فإن محمدا يَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إلا الله ، وأنه عبده ورسوله .

ثم إنَّ مالكَ بن مُرَّةَ الرَّهاوى قد حدَّثنى أَنَّكَ أسلمت من أول حمير ، وقتلتَ المشركين ، فَأَبِشرْ بخير ، وآمُرُكَ بحمير خَيْراً ، ولا تَخُونُوا ولا تَخاذَلُوا ، فإنّ رسول الله هو مَوْلَى غَنيِّكم وفقيركم ، وإنّ الصَّدقَةَ لا تحلّ لمحمد ، ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاةٌ يزكّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإنّ مالكا قد بَلَّغَ الخبر وَحَفِظَ الْغَيْبَ

---

(١) المعافر : ثياب من ثياب اليمن .

(٢) جمع مخلاف ، وهو لأهل اليمن كالجند لأهل الشام ، والكورة لأهل العراق ، والرستاق لأهل الجبال ، والطسوج لأهل الأهواز .

وآمُرُكُمْ به خيرا . وإنى قد أُرسلت إليكم من صالحى أهلى وأُولى دينهم وأولى علمهم ، وآمركم بهم خيرا ؛ فإنَّهم مَنْظُورٌ إليهم ، والسلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته » .

* * *

وصية الرسول معاذاً

حين بعثه إلى اليمن

قال ابن إسحاق :

وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، انه حُدِّث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين بعث معاذا — أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : « يَسِّر وَلَا تُعَسِّرْ وبَشِّر ولا تُنَفِّر ؛ وَإِنَّكَ ستَقْدَمُ على قومٍ من أهل الكتابِ يسألونك ما مِفتَاحُ الجَنَّة ؟ فقل : شهادةُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ الله وحده لاشريكَ له » .

إسلام بنى الحارث بن كَعْب

على يدىْ خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق :

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر ، أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بِنَجْرَان ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، ثلاثا ، فإن استجابوا فاقبلْ منهم ، وإن لم يَفْعَلوا فقاتلهم .

فخرج خالدٌ حتى قدم عليهم ، فبعث الرُّكبان يضرِبون فى كل وجه ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس أسلِموُا تَسلموا . فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعُوا إليه ، فأقام فيهم خالد يُعَلِّمُهُم الإسلام وكتابَ الله وسنةَ نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أَمَرَه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ، ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد ، السلامُ عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمدَ إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كَعْب ، وأمرتنى إذا أَتَيْتُهُمْ

أن لا أقاتلهم ثلاثةَ أيام ، وأن أدعوهُم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمتُ فيهم وقبلت منهم وعلّمتهم معالم الإسلام وكتابَ الله وسنّةَ نبيه ، وإن لم يُسْلموا قَاتَلْتُهُمْ ، وإنى قَدِمْتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثتُ فيهم رُكبانا قالوا : « يا بنى الحارث ، أسْلِموُا تَسْلَموا » فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيمٌ بين أظْهُرِهم آمُرُهم بما أمرهم الله به ، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأُعَلِّمهم معالم الإســلام وسنة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

* * *

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبى رسول الله ، إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأَنْ قد هَداهم الله بُهَداه ، فبشِّرْهُمْ وأنذِرهم ، وأَقْبِلْ وليُقْبِل معك وفدُهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

* * *

فأقبل خالدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وَفدُ بنى الحارث بن كعب : منهم قَيْسُ بن الْحُصَيْن ذى الغُصّة ، ويزيد بن عَبْد المدَانِ ، ويزيد بن المُحَجَّل ، وعبد الله بن قُرَاد الزيِّادِى ، وشَدَّاد ابن عبد الله القَنَانى ، وعَمرو بن عبد الله الضِّبابى . فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم قال : مَنْ هؤلاء القوم الذين كأَنهم رجالُ الهند ؟ قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث ابن كعب . فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَّموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زُجرُوا استَقْدَمُوا ؟ فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدَان : نَعَم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجِروا استَقْدَمُوا ، قالها أربعَ مِرار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن خالدا لم يكتب إلىَّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم . قال يزيد بن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا . قال : فَمَنْ حَمِدتُمْ ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله . قال : صدقتم . ثم قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : بِمَ كُنْتُمْ تغـلِبُون مَن قاتَلَـكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا ، قال : بلى ، قد كنتم تغلبون من قاتلـكم . قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نفترق . ولا نبدأ أحداً بظلم . قال : صدقتم .

وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب قيس بن الْحُصَيْن .

فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقية من شوال ، أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمَ وباركَ ، ورضى وأنعم .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم بعد أن وَلّى وفدُهم عَمْرو بن حَزْم ليُفَقِّهَهُم فى الدين ، ويعلّمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا عهد إليه فيه عَهَدَه ، وأَمَرَه فيه بأمره :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيانٌ من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا أَوفُوا بالعُقُود ، عَهْدٌ من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن . أمره بتقوى الله فى أمره كله . فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله ، وأن يبشر الناسَ بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقّهم فيه ، وينهى الناس فلا يَمَسّ القرآن إنسانٌ إلا وهو طاهر ، ويخبر

النّاسَ بالذى لهم والذى عليهم ، ويلينَ للناس فى الحق ، ويشتدَّ عليهم فى الظلم ، فإن الله كرِهَ الظّلم ونهى عنه ، فقال : (أَلا لَعنَةُ الله على الظالمين) ويبشر النّاسَ بالجنة وبعَمَلها ، وينذر الناس النار وعملَها ، وَيستأْلِف النّاس حتى يفَقَهوا فى الدين ، ويعلم الناس مَعالَمَ الحجِّ وسنّته وفريضَته وما أمرالله به ، والحجُّ الأكبرالحج الأكبر ، والحجُّ الأصغرهو العمرة. وينهَى الناس أن يصلِّىَ أحد فى ثوب واحد صغير إلا أن يكون ثوباً يثْنِى طرفيه على عاتقيه ، وينهى الناس أن يَحتَبِىَ أحد فى ثوب واحد يُفْضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقِص أحدٌ شعر رأسِه فى قفاه ، وينْهَى ، إذا كان بين الناس هَيْجٌ ، عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكُنْ دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ، فمن لم يدْعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقْطَفُوا بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحدَه لا شريك له . ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وُجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، وَيَمْسَحُون برءوسهم كما أمرهم الله . وأمرَ بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويُغَلّس بالصُّبح[1] ، ويُهَجِّرَ بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصَلاَةُ العصر والشمسُ فى الأرض مُدْبرة ، والمغرب حين

---

(١) التغليس : أن يصليه فى أول الفجر .

(٢) التهجير : الصلاة فى أول وقت الظهر . والهاجرة نصف النهار حين تزول الشمس .

يُقْبل الليل ، لا يُؤَخَّر حتى تبدوَ النجومُ فى السماء . والعشاء أوَّلَ الليل . وأمرَ بالسَّعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغُسل عند الرَّوَاح إليها . وأمره أن يأخذ من المغانم خُمسَ الله وما كُتب على المؤمنين فى الصدقة من العَقَار عُشرَ ما سقت العينُ وسَقَت السماء ، وعلى ما سقى الغَرْبُ نصف العشر . وفى كل عَشْرٍ من الإبل شاتان ، وفى كل عِشرين أربعُ شِياه ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبِيع جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاةٌ ، فإنَّها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له . وإنه من أسْلَمَ مِنْ يهوديٍّ أو نصرانيٍّ إسلاماً خالصا من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين : له مثلُ ما لهم ، وعليه مثلُ ما عليهم . ومَن كان على نَصْرانيته أو يهوديّته فإنه لا يُرَدُّ عنها . وعلى كل حالم ذكرٍ أو أنثى ، حُرٍّ أو عَبْدٍ ، دينارٌ وافٍ أو عِوَضُه ثيابا ، فمن أدّى ذلك فإن له ذِمَّةَ الله و ذِمَّةَ رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عَدُوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا . صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته » .

ذكر الكذابَيْن

مُسَيْلِمة الحَنَفِيّ والأَسْوَدِ العَنْسِيّ

قال ابن إسحاق :

وقد كان تكلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذّابان : مُسيلِمَةُ بن حبيب الكذاب باليمامة فى بنى حنيفة ، والأَسودُ ابن كعب العنسىّ بصنعاء .

عن أبى سعيدٍ الخُدْرِى ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على مِنبَره ، وهو يقول : « أيها الناس ، إنِّى قد رأَيتُ ليلة القدر ، ثم أُنْسِيتُها ، ورأيت فى ذراعَىَّ سِوارين من ذهب فكرهتهما ، فنفختْهما فطارا ، فأوَّلتُهما هذين الكذابين : صاحب اليمن وصاحب اليمامة » .

وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة ، أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تقومُ الساعة حتى يخرجَ ثلاثون دجَّالاً ، كلُّهم يدَّعِى النبُوَّة » .

خروج الأُمَراء والعُمَّال على الصدقات

قال ابن إسحاق :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أُمراءه وعُمَّالَه على الصَّدَقات إلى كل ما أوطأ الإسلامُ من البُلْدَان ، فبعث المُهاجرَ بن أبى أمية بن المغيرة إلى صنعاء ؛ فخرج عليه الْعَنْسِىُّ ، وهو بها ؛ وبعث زياد بن لبيد أخا بنى بَيَاضَــة الأنْصَارى إلى حَضْرَموْت ، وعلى صدقاتها ؛ وبعث عدِىَّ بن حاتم على طيء وصدقاتها ، وعلى بنى أسد ؛ وبعث مالك بن نُوَيْرة على صَدَقات بنى حَنْظَلَة ؛ وفرَّقَ صدقةَ بنى سعد على رَجُلَين منهم : فبعث الزِّبْرقانَ بن بَدر على ناحية منها ، وقَيسَ بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العَلَاء بن الحَضرمِىِّ على البَحْرَين ، وبعث علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجرَان ليجمع صدقتهم ،ويَقْدَمَ عليه بجِزيتهم .

كتاب مُسَيْلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

والجواب عنه

وقد كان مُسَيْلِمَةُ بن حبيب قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من مُسَيْـلِمة رسولِ الله إلى محمد رسول الله . سلام عليك ، أما بعد فإنى قد أُشرِكتُ فى الأمر معك ، وإنَّ لنا نصفَ الأرض ، ولقريش نصفَ الأرض ، ولكنَّ قُريشاً قومٌ يَعتَدُون .

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سَلَمَة بن نُعَيم بن مسعود الأشجعى ، عن أبيه نُعيم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه : « فما تَقُولاَن أنتما » ؟ قالا : نقول كما قال . فقال : « أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقتلُ لَضَربتُ أعناقَكما » .

ثم كتب إلى مُسَيلمة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، . من محمد رسول الله إلى مُسيْلمة الكذاب ، السلام على من اتَّبَعَ الهدى . أما بعد فإن الأرضَ لله يُورِثُها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .

وذلك فى آخر سنة عشر .

حَجَّةُ الْوَدَاعِ

فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القَعدة تجَهَّز للحج وأمر الناس بالجَهَاز له، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليالٍ بقين من ذى القعدة[1].

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حَجِّه، فأرى الناسَ مناسكَهم، وأعلمهم سُنَن حَجِّهم، وخطب الناس خطبتَه التى بيَّنَ فيها ما بيَّن. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

« أيُّهَا الناسُ، اسمعوا قولى، فإنِّى لا أدرى لَعَلِّى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً. أيها الناس، إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقَوا ربَّكم، كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا، وإنَّكم سَتَلْقَوْنَ ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بَلَّغْتُ. فمن كانت عنده أمانةٌ فَلْيُؤَدِّها إلى مَنِ ائتمنه عليها. وإنَّ كل رِباً موضوعٌ[2]، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تَظْلِمُون ولا تُظْلَمُون. قضى الله أنه لا رِبا، وإن رِبَا عَبَّاسِ بن عبد المطلب موضوعٌ كله، وإن كُلَّ دم كان فى الجاهلية

---

(١) قال ابن هشام: فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى، ويقال سباع ابن عرفطة الغفارى

(٢) وضع عنه الدين والدم وجميع أنواع الجناية، يضعه وضعا: أسقطه عنه.

موضوع ، وإن أول دمائكم أضعُ دَمُ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب — وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل — فهو أوَّلُ ما أبدأ به من دماء الجاهلية .

أما بعد أَيها الناس ؛ فإن الشيطان قد يئس من أن يُعْبَدَ بأرضكم هذه أَبداً ، ولكنه إن يُطَعْ فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم . فاحذروه على دينكم .

أَيها الناس ، إن النسىء زيادةٌ فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونه عَاماً ويُحَرِّمونه عاما ليواطئوا عِدَّةَ ماحرَّم الله فيحلُّوا ما حرَّم الله ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلق الله السموات والأرض ، وإن عدَّة الشهور عند الله اثْنَا عَشَرَ شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية ، ورَجَبُ مضرَ[1] الذى بين جمادى وشعبان.

أما بعد أيها الناس ، فإنَّ لكم على نسائكم حَقًّا ، ولهنَّ عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فرشَكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبيِّنة ، فإنْ فعلن فإن الله قد أذِنَ لكم أن تهجُرُوهنَّ فى المضاجع وتضربوهنَّ ضربا غير مُبَرِّح[2] فإن انْتَهَيْنَ فلهنَّ رزقهنَّ

(١) إنما أضاف رجبا إلى مضر لأنها كانت تعظمه ، ولم يكن أحد من العرب يفعل ذلك سواها .

(٢) غير مبرح : أى غير شديد تقول : برح به الأمر ، إذا اشتد عليه وشق .

وكُسوتُهنَّ بالمعروف، واستوصُوا بالنساء خيراً فإنّهن عندكم عَوَانٍ[1] لا يَمْلِكْن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتُموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله.

فاعقلوا أيّها الناس قَوْلى، فإنّى قد بلَّغْتُ وقد تَرَكْتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به فلن تَضِلُّوا أبداً، أمراً بَيِّنا، كتاب الله وسنة نبيه. أيها الناس اسمعوا قولى واعقِلوه؛ تَعَلَّمُنَّ أن كلَّ مسلم أخٌ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلاّ ما أعطاه عن طِيب نفسٍ منه، فلا تَظْلِمُنَّ أنفسكم. اللهم هل بَلَّغْت؟».

فذكر لى أن الناس قالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمْ اشهد».

---

(١) عوان: جمع عانية، وهى الأسيرة.

بعث أُسامة بن زيد

إلى أرض فِلسطين

قال ابن إسحاق :

ثم قَفَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفرا ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام وأمَّرَ عليهم أُسامَةَ بن زيد بن حارثة مولاه ، وأَمَرَه أن يوطئ الخيل تُخُومَ البلقاء والدارُوم من أرض فِلَسطِين ، فتجهَّزَ النَّاسُ وأَوْعَبَ[1] مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

---

(١) أوعبوا خرجوا كلهم ، لم يتخلف منهم أحد

خروج رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

قال ابن هشام

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعث إلى الملوك رُسُلًا من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يَدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به ، عن أبى بكر الهُذَلى ، قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذاتَ يوم بعد عُمرَته التى صُدَّ عنها يوم الحُدَيبية فقال : « أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رَحمةً وكافَّةً ؛ فلا تختلفوا علىَّ كما اختلف الحَوَارِيُّون على عيسى ابن مريم » . فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : « دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه ، فأمّا مَن بَعَثَهُ مَبعَثًا قريبًا فرضى وسَلِم ، وأما من بعثه مبعثًا بعيدا فكرِه وَجهَه وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله فأصبح المتثاقلون وكلٌّ واحد منهم يَتَكَلَّم بلغةِ الأمة التى بُعثَ إليها »

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام ، فبعث دِحْيَةَ بن خليفة الكَلْبىّ إلى قيصر ملك الروم :

وبَعَثَ عبدَ الله بن حُذَافة السَّهْمِىَّ إلى كسرى ملك فارس .

وبعث عَمرو بن أميَّة الضَّمْرىّ إلى النَّجاشِىّ ملك الحبشة .

وبعث حاطب بن أبى بَلْتَعَة إلى المُقَوْقِس ملك الإسكندرية .

وبعث عَمْرو بن العاص السَّهمِىَّ إلى جيْفَر وعِياذ ابنى الجُلُنْدَى الأزدِيَّيْن ملِكَىْ عُمَان .

وبعث سَليط بن عَمْرٍو أحد بنى عامر بن لؤى إلى ثُمَامة بن أُثَال وهَوْذَة بن على الحنفيَّيْن ملِكَى اليمامة .

وبعثَ العلاء بن الحَضرَمىّ إلى المُنذِر بن ساوَى العَبْدِى ملك البَحرَين .

وبعث شُجاع بن وَهب الأَسَدىَّ إلى الحارث بن أبى شِمْر الغَسَّانى ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : أنا نَسَبْتُ سَليطا وثُمَامة وهَوْذة والمنذر .

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حَبيب المصرى أنه وجد كتابا فيه ذِكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، قال : فبعثت به إلى محمد ابن شهاب الزُّهرى ، فعرفه ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : « إن الله بعثنى رحمةً وكافَّةً ، فأدُّوا عنى

يرحمكم الله ، ولا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريُّون على عيسى بن مريم »
قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم ؟ قال : « دعاهم لمثل ما دعوتكم
له ؛ فأما من قرَّبَ به فأحبَّ وسلم ، وأما من بَعُدَ به فكرهه وأبى ،
فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلَّم بلغة
القوم الذين وجه إليهم » .

قال ابن إسحاق :

وكان مَنْ بعثَ عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين
والأتباع الذين كانوا بعدهم فى الأرض بُطْرس الحَوَارِىّ ،
ومعه بولس ، وكان بُولس من الأتباع ولم يكن من الحواريين ، إلى
رُومية ، وَأَنْدَرَائِس ومَنْتا إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس ،
وتُوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفِيلبُس إلى قَرطاجَنَّة ،
وهى إفريقية ، ويُحَنَّس إلى أَفْسُوس قرية الفتية أصحاب الكهف ،
وَيَعْقُوبُس إلى أُورَاشَلِم ، وهى إيلياء قرية بيت المقدس ، وابن ثَلْماء
إلى الأعرابية ، وهى أرض الحجاز ، وسِيمُن إلى أرض البربر ،
ويهوذا ولم يكن من الحواريين جُعل مكان يُودِسَ .

آخر البعث

قال ابن إسحاق :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسامَة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطئ الخيل تخُومَ الْبَلْقَاء والدَّارُوم من أرض فِلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعَبَ مع أسامة المهاجرُون الأولون[1] .

---

(1) أوعبوا معه : خرجوا بأجمعهم فى الغزو .

ابتداء شَكْوَى رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

فبينا الناس على ذلك ابْتُدِئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوِه الذى قَبَضَه الله فيه إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بَقِينَ من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك — فيما ذُكر لى — أنه خرج إلى بَقيع الغرقد[1] من جوف الليل فاستغفرَ لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتُدِئ بوجعه من يومه ذلك .

عن أبى مويهِبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوفِ الليل ، فقال يا أبا مويهِبة ، إنى قد أُمِرتُ أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطَلِقْ معى . فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال :

« السَّلَامُ عليكم أهلَ المقابرِ ، لِيَهْنِئْ لكم ما أصبحتم فِيهِ مِما أصبحَ الناسُ فِيهِ ، أقبلت الفِتن كقِطَعِ اللَّيل المُظلم يَتْبَعُ آخرها أولها ، الآخرةُ شرٌ منَ الأولى » .

---

(١) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة ، وهى داخل المدينة .

ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيتُ مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلدَ فيها ؛ ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة .

فقلت : بأبى أنتَ وأمى ، فخذْ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : لا ، والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترتُ لقاء ربى والجنة . ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ الذى قبضه الله فيه .

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت :

رَجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدَنى وأنا أجدُ صداعاً فى رأسى ، وأنا أقول : وارأساه ! فقال : بل أنا والله يا عائشة ، وارَأْساه ! . ثم قال : وما ضَرك لو مُتِّ قبلى فقمتُ عليك وكفّنتُكِ وصلّيت عليك ودفنتك ؟ قلت : والله لكأنى بك لو قد فعلتَ ذلك لقد رجعتَ إلى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك .

قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتَتَامَّ به وَجَعُهُ وهو يدور على نسائه ، حتى استُعِزَّ به[1] وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهنّ فى أن يمرض فى بيتى ، فأذِنَّ له .

---

(١) استعز به : اشتد عليه وغلبه على نفسه صلى الله عليه وسلم .

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

أمهـــات المؤمنين

قال ابن هشام: وكُنَّ تسعاً: عائشة بنت أبي بكر، وحَفْصَة بنت عمر بن الخطاب، وأمُّ حَبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأمُّ سَلَمَة بنت أبي أمية بن المغيرة، وسَوْدَة بنت زَمْعَة بن قيس، وزينب بنت جحش بن رئاب، ومَيْمُونة بنت الحارث بن حَزْن، وجُوَيرِية بنت الحارث بن أبي ضرار، وصفِيه بنت حُيَيٍّ بن أخطَب، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم.

وكان جميع من تزوَّج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة:

خدَيجَةُ بنت خويلد: وهي أول من تزوج، زَوَّجَهُ إياها أبوها خويلد بن أسد، ويقال أخوها عمرو بن خويلد، وأصدقَها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرَةً(٢)، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كُلُّهم، إلا إبراهيم. وكانت قبله عند أبي هَالَةَ بن مالك أحـــد بني أُسيِّد بن عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدار، فولدت له هِند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة. وكانت قبل أبي هالة

---

(١) استعز به: اشتد عليه وغلبه على نفسه.

(٢) البكرة: الفتية من الابل.

عتيق بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله وجارية .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم (عائشة بنتَ أبى بكر الصديق) بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبَنَى بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوَّجْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكْراً غيرها ، زوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقَها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم (سَودَةَ بنت زَمْعَةَ بن قيس ابن عبد شَمس بن عبد وُدٍّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى)، زَوَّجَه إياها سليط بن عمرو ، ويقال : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل . وأصدقَها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم[1] . وكانت قبله عند السَّكران بن عمرو ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم (زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية) ، زوَّجه أياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم . وكانت قبله عند زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا) .

---

(١) قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمّ سلمة بنت أبى أمية ابن المغيرة المخزومية)، واسمها هند، زوّجه إياها سَلمةُ بن أبى سلمة ابنُها، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فراشاً حشوُهُ ليفٌ، وقدحاً وصَحْفَةً، ومِجَشَّةً[1] وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الأسد، واسمه عبد الله، فولدت له: سلمة، وعُمر، وزينب، ورُقَيَّة.

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم (حفصة بنت عُمر بن الخطاب) زوّجه إياها أبوها عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربَعمائة درهم، وكانت قبله عند خُنَيْس بن حُذَافة السَّهْمى.

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمّ حَبِيبة — واسمها رَمْلَةُ — بنتَ أبى سفيان بن حرب)، زوّجه إياها خالدُ بن سعيد ابن العاص، وهما بأرض الحبشة، وأصدقها النجاشىُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار، وهو الذى كان خطبَها على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت قبله عند عُبَيْد الله بن جحش الأسدى.

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم (جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث ابن أبى ضِرَار الخُزاعيّة)، كانت فى سبايا بنى المُصطلِق من خُزَاعة،

---

(١) المجشة: أراد بها الرحى.

فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشَّمَّاس الأنصارى ، فكاتَبَها على نفسها ، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها ، فقال : « هل لكِ فى خيرٍ من ذلك ؟ » . قالت : وما هو ؟ قال : « أقضِى عنك كتابَتَكِ وأَتزوَّجُكِ » . فقالت : نعم . فتزوجها .

قال ابن هشام :

ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصْطَلِق ومعه جُوَيرِية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جُويريةَ إلى رجلٍ من الأنصار وديعةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضِرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نَظَرَ إلى الإبل التى جاء بها للفداء فرغِبَ فى بعيرين منها ، فَغَيَّبَهُما فى شِعْب من شعاب العقيق . ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأَين البعيران اللذانِ غَيَّبت بِالعقيقِ فى شعبِ كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى ! فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس كثير من قومه ، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما ، فدفع الإبلَ إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودُفِعت إليه ابنته جُويرية ، فأسلمت وحَسُن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها فزوجه إياها . وأصدقها أربعمائة درهم .

وكانت قبل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله . ويقال : اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت ابن قيس فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم (صفيةَ بنت حُيَيٍّ بن أخطَب) ، سَباها من خَيْبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأَوْلَم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمةً ما فيها شحمٌ ولا لحم ، كان سويقاً وتمراً . وكانت قبله عند كِنانةَ بن الربيع بن أبي الحُقيق .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَيْمُونَةَ بنت الحارث بن حَزْن بن بَحِير بن هُزَم بن رُوَيْبَةَ بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة) ، زوَّجه إياها العباسُ بن عبد المطلب ، وأصدقَها العباسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند أبي رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد وُدٍّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤى . ويقال : إنها التى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خِطبةَ النبى صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله . فأنزل الله تبارك وتعالى : (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا) . ويقال : إن التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم زينبُ بنت جحش . ويقال : أم شريك غَزِيَّةُ بنت جابر بن وهب ، من بنى منقذ بن عمرو بن مُعَيْص بن عامر بن لؤى . ويقال :

بل هى امرأة من بنى سَامَةَ بن لؤى، فأرجأها[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتزوَّج رسول الله صلى الله عليه وسلم (زَينبَ بنت خُزَيمةَ بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة) ، وكانت تُسمَّى أمَّ المساكين ؛ لرحمتها إياهم ورقتها عليهم ، زوّجه إياها قَبِيصَةُ بن عمرو الهلالى ، وأصدقَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند عُبيدةَ بن الحارث بن المطلب ابن عبد مناف ، وكانت قبل عُبيدةَ عند جَهْم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها .

فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إحدى عشرة فمات قبله منهن اثنتان : خديجة بنت خُوَيْلد ، وزينب بنت خُزَيمة ، وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث .

واثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النُّعمان الكِندِيَّة ، تزوّجها فوجد بها بَيَاضاً ، فمتَّعهَا وردَّها إلى أهلها . وعَمْرَة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثةَ عهدٍ بِكُفرٍ ، فلما قدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنيعٌ عائذُ اللهِ » فردَّها إلى أهلها . ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِنْدِيَّةٌ ، بنتُ عمّ

---

(١) أى أخر أمرها .

لأسماء بنت النعمان ، ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها فقالت : إنا قوم نُؤْتَى ولا نأتِي ! فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

* * *

(القرشيات) من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ست : خديجة بنت خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب ابن لؤى ، وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قُحَافَةَ بن عامر بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لؤى ، وَحَفْصَةُ بنت عُمَرَ ابن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح ابن رِزاح بن عديّ بن كعب بن لؤى ، وأمُّ حبيبة بنت أبي سُفيان ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى ، وأُم سَلَمَةَ بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مرة بن كعب بن لؤى ، وَسَوْدَة بنت زَمْعَةَ بن قيس بن عبد شمس بن عبدُ ود بن نَصْر بن مالك ابن حِسْل بن عامر بن لؤى .

و (العربيات غيرهن) سبع : زَيْنَبُ بنت جَحْش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مرة بن كبير بن غَنم بن دُودان بن أسد بن خزيمة ، وَمَيْمُونَةُ بنت الحارث بن حَزْن بن بَحير بن هُزَم بن رُوَيبَة بن عبد الله

ابن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عِكرِمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وزَيْنَب بنت خُزَيْمَة بن الحارث ابن عبد الله بن عَمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، وجُوَيْرِية بنت الحارث بن أبى ضِرار الخُزاعِيَّة ثم المُصطَلِقيَّة ، وأسماء بنت النعمان الكِنْدِية ، وعَمْرة بنت يزيد الكلابية .

و (من غير العربيات) صَفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب ، من بنى النَّضِير .

عدنا إلى ذكر شَكْوَى رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

حدثنى يعقوب بن عُتْبة ، عن محمد بن مُسْلم الزهرى ؛ عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت :

نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن عباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسه ، تَخُطُّ قدماه حتى دخل بيتى .

قال عبيد الله : فحدثت هذا الحديث عبدَ الله بن العبّاس ، فقال : هل تدرى مَن الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا . قال : على بن أبى طالب .

ثم غُمِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم واشْتَدَّ به وجعُه ، فقال : « هرِيقُوا علىَّ سَبعَ قِرَبٍ مِن آبَارٍ شتَّى حتَّى أخرُجَ إلى النَّاسِ فأَعهَد إليهم » . قالت : فأقعدناه فى مِخْضَبٍ (١) لحفصة بنت عُمر ، ثم صببنا عليه الماء ، حتى طفق يقول : « حَسْبُكم حَسْبُكم » .

---

(١) المخضب : شبه الإجانة يغسل فيها الثياب .

وقال الزُّهْرى :

حدثنى أيوب بن بشير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسَهُ حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أُحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاةَ عليهم ، ثم قال : « إنَّ عبداً مِن عِباد اللهِ خَيَّرَهُ اللهُ بين الدنيا وبين ما عندَهُ فاختارَ ما عِندَ الله » . قال : ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسَه يريد ، فبكى ، وقال : بل نحن نَفديك بأنفسنا وأبنائنا ! فقال : « على رِسلكَ يا أبا بكرٍ » ثم قال : « انظرُوا هذه الأبوابَ اللاَّفظَة فى المسجدِ[1] فسُدُّوها إلاَّ بيتَ أبى بكر[2] فإنِّى لا أَعلَمُ أحَداً كان أَفضَلَ فى الصُّحبةِ عندى يداً منه » :

وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل سعيد ابن المعلى :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ فى كلامه هذا : « فإنِّى لو كُنْتُ متخذاً مِن العبادِ خليلاً لا تَّخذتُ أَبَا بكرٍ خَليلاً ، وَلٰكنْ صحبةٌ وإخاء إيمان، حتَّى يجمعَ اللهُ بيننا عِنده » .

وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره

---

(١) اللافظة فى المسجد : أى النافذة إليه .

(٢) قال ابن هشام : ويروى إلا باب أبى بكر .

من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناسَ فى بعث أسامة وهو فى وجعِه ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناسُ قالوا فى إمرة أُسامة : أَمَّرَ غلاماً حَدَثاً على جِلَّة المهاجرين والأنصار ! فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو له أهل . ثم قال :

«أيها الناس ، أَنْفِذُوا بعَثَ أسامة ، فلَعَمرِى لئن قُلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارةِ أَبِيه مِن قَبْلِه ؛ وإنه لخليقٌ لِلإمارةِ ، وَإنْ كان أبوه لَخليقاً لها » .

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكمش الناسُ فى جهازهم[1] ، واستَعزَّ[2] برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعُه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشُه معه ، حتى نزلوا الُجرْفَ من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتامَّ إليه الناس ، وثَقُلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامةُ والناس لينظروا ما الله قاضٍ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الزهرىُّ : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، يوم صَلّى واسْتَغفَر لأصحاب أحدٍ وذكَر

---

(١) انكمشوا : أسرعوا وجدوا .

(٢) استعز به : غلب واشتد .

من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ: «يامعشرَ المهاجرينَ، استوصُوا بالأَنصارِ خَيراً،فإنَّ النَّاسَ يزِيدون وإنَّ الأَنصارَ على هيئتها لا تَزِيد، وإنهم كانوا عَيْبتى[1] التى أوَيتُ إليها، فَأَحْسِنُوا إلى مُحسنهِمْ وتجاوزُوا عن مُسيئِهم».

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل بيته وتتامَّ به وجعه حتى غُمر[2].

فاجتمع إليه نساء من نسائه: أُمُّ سلمة وميمونةُ، ونساء من نساء المسلمين، منهن أسماء بنت عُمَيس، وعنده العباس عمه؛ فأجمعوا على أن يَلُدُّوهُ[3] وقال العباس: لأَلُدَّنَّه.

فلَدُّوه فلما أفاق رسول الله صلى عليه وسلم قال: مَنْ صنعَ هذا بى؟ قالوا: يارسول الله عمُّك قال: هٰذَا دوَاء أَتَى به نساء جئْنَ مِن نحو هٰذه الأرض — وأشار نحو أرض الحبشة — ولَم فعلتمْ ذلك؟ فقال العباس: خشينا يارسول الله أن يكون بك ذات الجنْب، فقال: «إنَّ ذلك لَدَاء ما كان اللهُ ليَقذفنى به، لا يَبْقَ فى البيتِ أحدٌ إلاَّ لُدَّ، إلاَّ

---

(١) عيبة الرجل: خاصته وموضع سره.

(٢) غمر، بالبناء للمجهول: أصابته غمرة المرض.

(٣) لده: سقاه اللدود، وهو بالفتح: ما يسقاه المريض فى أحد شق فمه.

عمِّى». فلقد لُدَّت ميمونة وإنها لصائمة، لقَسَم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ عقوبة لهم بما صنعوا به.

عن أسامة بن زيد، قال:

لما ثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطتُ وهبط الناسُ معى إلى المدينة، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أَصْمَتَ فلا يتكلَّم، فجعل يرفَع يده إلى السماء ثم يضعها علىَّ، فأعرفُ أنه يدعو لى!

عن عائشة قالت:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه يقول: «إنَّ الله لَمْ يقَبض نبيًّا حتَّى يُخيِّرَه. قالت: فلما حُضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول: «بل الرَّفِيقَ الأَعلَى من الجنَّة». قلت: إذاً والله لا يختارنا، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا: «إن نبيا لم يُقبَضْ حتى يُخَيَّر».

صلاة أبي بكر رضى الله عنه بالناس

قال الزهرى : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت :

لما اُستعزَّ[1] برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالناس » . قلت: يا نبيَّ الله ، إنَّ أبا بكر رجلٌ رقيق ضعيفُ الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن ! قال : « مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ بالنَّاس » . فعدتُ بمثل قولى ، فقال : « إنَّكُنَّ صواحبُ يُوسُفَ فَمُرُوهُ فَلَيُصَلِّ بالنَّاس » . فوالله ما أقول ذلك إلاَّ أنِّى كنت أحبُّ أن يُصْرَف ذلك عن أبي بكر ، وعرفتُ أنَّ الناس لايحبون رجلاً قام مقامه أبدًا ، وأن الناسَ سيتشاءمون به فى كلّ حدثٍ كان ، فكنت أُحبُّ أن يصرف ذلك عن أبي بكر .

عن عبد الله بن زَمْعَة بن الأسود بن المطَّلب بن أسد ، قال :

لما اسْتِعزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، دعاه بِلاَلٌ إلى الصلاة ، فقال : « مُرُوا مَنْ يُصَلِّى بالناس » فخرجت فإذا عمرُ فى الناس ، وكان أبو بكرٍ غائبا ، فقلت : قُمْ ياعمر فصلِّ بالناس . فقام ، فلما كبَّر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) استعزبه : غلبه المرض واشتد عليه .

صوتَه — وكان عمر رجلا مُجْهِراً[1] — فقال رسول صلى الله عليه وسلم: «فأين أَبُو بكرٍ؟ يأْبى الله ذلك والمسلمونَ، يأبى الله ذلك والمسلمون!» . فبُعث إلى أبى بكر، فجاء بعد أن صلَّى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس .

قال عبد الله بن زمعة : قال لى عمر : ويْحَكَ!! ماذا صنعْتَ بى يا ابن زَمْعة؟ والله ما ظننتُ حين أَمَرْتَنى إلاَّ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صلَّيت بالناس . قلت : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتُك أحقَّ من حضَر بالصَّلاة بالناس .

قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أنس بن مالك :

أنّه لما كان يومَ الاثنين الذى قَبَض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم خرجَ إلى الناس وهم يصلُّون الصُّبْح. فرفَع السِّتر وفتح الباب، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يَفْتَتِنُونَ فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فَرَحاً به، وتَفَرَّجوا[2]، فأشار إليهم : أن اثبتُوا على صلاتكم .

---

(١) مجهرا : أى رفيع الصوت ، والجهارة : ارتفاع الصوت .

(٢) تفرجوا : ذهب عنهم الغم وانكشف الكرب .

فتبسَّم رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم سُرُوراً لما رأي من هيئتهم فى صَلاتهم ، وما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَحسن هيئةً منه تلك الساعة . ثم رجع ، وانصرف الناس ، وهم يُرَوْنَ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفْرَقَ من وَجَعهِ[1]، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح[2] .

وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : « أين أبُو بكرٍ ؟ يأبَى الله ذلك والمسلمون » . فلولا مَقَالةٌ قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إنْ أستخلِفْ فقد استخلَفَ مَن هو خيرٌ منى ، وإن أَتْرُكْهُمْ فقد تركهم مَن هو خير منى . فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا . وكان عمر غَيرَ مُتَّهَمٍ على أبى بكر .

وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مُلَيْكة ، قال : لما كان يومَ الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه ، إلى الصُّبح[3] ،

---

(١) أفرق من وجعه : برىء واستبل .

(٢) السنح ، بضم فسكون : موضع كان لأبى بكر رضى الله عنه فيه مال ، وكان ينزله بأهله .

(٣) أى إلى صلاة الصبح .

وأبو بكر يُصلِّى بالناس ، فلمـا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تَفَرَّجَ الناسُ ، فعرفَ أبو بكر أَنَّ الناس لم يَصْنَعُوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنَـكَصَ عن مُصلاَّه ، فدفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ظهره . وقال : « صلِّ بِالناسِ » . وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنْبه ، فصلَّى قاعداً عن يمين إبى بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلَّمهم رافعاً صوته ، حتّى خرج صوته من باب المسجد يقول : « أَيُها النَّاسُ ، سُعِّرَت النَّـارُ وأَقبلت الفِـتَنُ كَقِـطَعِ اللَّيل المظلم ! وإنّى واللهِ مَا تمَسَّكُونَ علىّ بِشىء ، إنّى لم أحِلَّ إلا ما أَحلَّ القرآنُ ولم أُحَرِّم إلا ما حرَّم القرآن » .

قال : فلمـا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه قال له أبو بكر : يا نبىَّ الله إنى أراك قد أصبحت بنعمةٍ من الله وفضلٍ كما نُحِـبُّ ، واليوم يوم بنت خارجة أفآتيها ؟ قال : نعم . ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

عن عبد الله بن عباس قال :

خرج يومئذٍ علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس مِن عِند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً . فأخذ العباسُ بيده ، ثم قال : يا علىّ ، أنت والله عَبْدُ العصا

بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفتُ الموتَ فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كُنْتُ أعرفه فى وجوه بنى عبد المطّلب ، فانطلقْ بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عَرَفْنَاه ، وإن كان فى غيرنا أمَرْنَاه فأوصى بنا النَّاسَ . فقال له على : إنِّى والله لا أفعل ، والله لئن مُنِعناه لا يُؤْتيناه أحدٌ بعده !

فَتُوُفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدَّ الضَّحَاء من ذلك اليوم .

عن عائشة قالت :

رَجَعَ إلَّى رسولُ الله صلى الله عليه فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد فاضطجع فى حِجْرى ، فدخل علىَّ رجلٌ من آل أبى بكر وفى يده سِوَاكٌ أخضر ، فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظراً عَرَفتُ أنَّه يريده ، فقلت : يارسول الله ، أتحبُّ أن أعطيكَ هذا السواك ؟ قال : نعم . فأخذتُه فمَضَغْتُه حتَّى ليَّنْتُه ، ثم أعطيته إياه ، فاسْتَنَّ به[1] كأشَدِّ ما رأيته يَسْتَنُّ بسواكٍ قَطُّ ، ثم وضعَه ، ووجدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَثْقُل فى حجرى ، فذهبت أنظرُ فى وجهه ، فإذا بصَرُه قد شَخَص ، وهو يقول : « بَلِ الرَّفِيقَ الأَعلَى مِنَ الجنَّةِ » فقلتُ : خُيِّرْتَ فاخترتَ والذى بَعَثك بالحق !

---

(١) أى استاك به .

وَقُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يَحيَى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعتُ عائشة تقول :

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونَحْرِى[١] وفى دَولَتى[٢] ، لم أظلم فيه أحدا ، فِمنْ سَفَهى وحَداثة سنِّى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قُبضَ وهو فى حجرى ، ثم وَضعت رأسَه على وسادة ، وقمت ألْتَدِمُ[٣] مع النساء وأَضرِبُ وجهى .

عن أبى هريرة ، قال :

لما تُوفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب فقال : إنَّ رجالًا من المنافقين يَزْعُمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوفِّى ؛ وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات ، ولكنه ذَهَبَ إلى ربِّه كما ذهب موسى بن عِمرَان ، فقد غاب عن عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات . ووالله

---

(١) السحر : الرئة وما يتصل بها إلى الحلقوم ، وهو بفتح فسكون أو بضم فسكون . والنحر : أعلى الصدر .

(٢) فى دولتى : تريد فى نوبتها التى كانت لها .

(٣) ألتدم : أضرب صدرى .

لَيَرْجَعَنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسَلم كما رجع موسى فَلَيَقْطعنَّ أَيْدِيَ رجالٍ وأَرْجُلهم زعَمُوا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد — حين بلغه الخبر — وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفتْ إلى شيء حتَّى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُسَجًّى[1] فى ناحية البيت، عليه بُرْدُ حِبَرةٍ[2]، فأقبلَ حتى كشفَ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل عليه فقَبَّله ، ثم قال : بأبى أنت وأمِّى، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذُقْتَهَا ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً ! ثم ردَّ الْبُرْدَ على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعُمَرُ يكلِّم الناس ، فقال : على رِسْلِكَ يا عمر ، أَنْصِتْ . فأبَى إلاَّ أنْ يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنصتُ أقبلَ على الناس ، فلما سمِع الناسُ كلامَه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال :

أيُّها الناس ، إنه مَن كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات ، ومن كان

---

(١) مسجى : مغطى .

(٢) هو ضرب من ثياب اليمن .

يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت. ثم تلا هذه الآية : (وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قد خَلَتْ من قَبْلِهِ الرُّسُلُ أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أَعْقابِكم وَمَنْ يَنْقَلِبْ على عَقبَيْه فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وسَيَجْزِى اللهُ الشاكرِينَ) .

قال : فواللهِ لكأنَّ الناسَ لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتَّى تلاها أبو بكر يومئذٍ ، وأخذها الناسُ عن أبى بكر ، فإنما هى فى أفواهِهم .

فقال أبو هريرة : قال عمر : فوالله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكرٍ تلاها فَعُقِرتُ[1] حتى وقعتُ إلى الأرض مَا تحمْلنى رِجلاىَ ، وعرفتُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

---

(١) عقرت ، بالبناء للمجهول : دهشت وتحيرت .

أمر سَقيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق :

ولما قُبضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحيّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أُسيدُ بن حُضَيرٍ فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آتٍ إلى أبى بكر وعمر فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سَعْد بن عُبَادة فى سقيفة بنى ساعدة قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجةٌ فأدركوا الناسَ قبل أن يتفاقم أمرهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يُفرَغْ من أمره قد أَغْلق دونه البابَ أَهلهُ . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتّى ننظرَ ما هم عليه .

عن عبد الله بن عباس ، قال أخبرنى عبد الرحمن بن عوف ، قال — وكنت فى منزله بمنًى أنتظره وهو عند عمر فى آخر حَجَّة حَجَّها عمر ، فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر فوجدَنى فى منزله بمنًى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن — فقال لى عبد الرحمن بن عوف : لو رأيتَ رجلاً أتى أمير المؤمنين فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك فى فلان ، يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ،

والله ما كانت بيعةُ أبى بكر إلا فَلْتَةً فتمتْ ! قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إنْ شاء الله لقائمٌ العشيةَ فى الناس فمحذِّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصِبُوهم أمرهم . قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا تَفْعَلْ ، فإنْ الموسم يجمع رَعَاع الناس وغَوْغاءهم[1] ، وإنهم هم الذينَ يغلبون على قُرْبك حين تقوم فى الناس ، وإنِّى أخشى أن تقوم فتقول مقالةً يَطِيرُ بها أولئك عنك كلَّ مَطِيرٍ ، ولا يَعُوها ولا يَضَعُوها على مواضعها ، فأمْهِلْ حتى تَقْدَمَ المدينة ، فإنّها دار السُّنَّة ، وتَخْلُصَ بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلتَ بالمدينة مَتمكِّناً ، فيعي أهل الفقه مَقَالتَكَ ويضعوها على مواضعها . فقال عمر : أَمَا والله إن شاء الله لأَقُومَنَّ بذلك أولَ مَقَامٍ أقومه بالمدينة .

قال ابن عباس :

فقدمنا المدينة فى عَقِبِ ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عَجَّلْتُ الرواح حين زالت الشمس ، فأجدُ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر ، فجلست حَذْوَهُ تَمَسُّ ركبتى ركبتَه ، فلم أَنْشَبْ أن خرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد : لَيَقُولَنَّ

---

(١) الرعاع : سقاط الناس . والغوغاء : سفال الناس ؛ وأصل الغوغاء الجراد ، فشبه سفال الناس به لكثرتهم .

العشيةَ على هذا المنبر مقالةً لم يقلْها منذ استُخلِف ! فأنكر علىّ سعيدُ ابن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقولَ مما لم يقلْ قبله ؟ فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنّ قام فأثنى على الله بما هو له أهلٌ ، ثم قال :

أمّا بعد ، فإنى قائل لكم اليوم مقالةً قد قُدّر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلَّها بين يدَىْ أجَلى ، فمن عَقَلَهَا ووعاها فليأْخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خَشى أن لا يعيَها فلا يحلُّ لأحد أن يكذبَ علىّ . إن الله بعث محمدا ، وأنزل عليه الكتاب ، فكانَ مما أنزل عليه آيةُ الرجم ، فقرأناها وعَلِمناها ووَعْيناها ، ورَجَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ورَجْمنا بعده ، فأخشى إن طالَ بالناس زمانٌ أن يقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضةٍ أنزلها الله . وإن الرجم فى كتاب الله حقٌ على مَن زنى إذا أحصِن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة ، أو كان الحَبَلُ ، أو الاعتراف . ثم إنا قد كنا نقرأ من كتاب الله : لَا تَرْغَبُوا عن آبائكم ، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم . ألاَ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُطْرُونى كما أُطْرِى عِيسى بنُ مَريم ، وقولوا عبد الله ورسوله » . ثم إنّه قد بلغنى أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعتُ فلانا ! فلا يَغُرَّنَّ امرأ أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتَةً فَتَمَّتْ ، وإنها قد كانت كذلك ، إلا أنَّ الله قد وَقَى شرها ، وليس فيكم من تَنْقطع الأعناق إليه مثلُ أبى بكر ، فمن بايعَ رجلا عن غير مَشُورَة من المسلمين فإنه

لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تَغِرَّةً أن يُقْتَلا[1] . إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم — أنّ الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سَقيفة بنى ساعدة ، وتخلَّفَ عنا علىٌّ بن أبى طالب والزُّبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار . فانطلقنا نَؤُمهم ، حتى لَقِينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ما تَمالأ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاءِ من الانصار . قالا : فلا عليكم أن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين ، اقْضوا أمركم . قلت : والله لَنأْتينَّهم ، فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا بين ظَهْرانيهِم رجل مُزَمَّلٌ[2] ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا . سَعْدُ بن عُبادة . فقلت : ماله ؟ فقالوا : وِجعٌ . فلما جلسنا تَشَهَّد خطيبهم فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رَهْطٌ منا ، وقد دَفَّتْ دافَّة[3] من قومكم .

(1) أى خوف التغرة : وهى التغرير . ومعناه أن البيعة حقها أن تقع بعد مشورة واتفاق ، فإذا استبد اثنان دون الجماعة فبايع أحدهما الآخر فذلك تظاهر منهمابشق العصا واطراح الجماعة .فإن عقد لأحد بيعة فلا يكون المعقود له واحداً منهما . وليكونا معزولين من الطائفة التى تتفق على تمييز الإمام منها . لأنه لو عقد لواحد منهما وقد ارتكبا تلك الفعلة الشنيعة التى أحفظت الجماعة من التهاون بهم والاستغناء عن رأيهم ، لم يؤمن أن يقتلا . عن لسان العرب (غرر) .

(2) مزمل : ملتف ، تزمل الرجل ، إذا التف فى كساء أو نحوه .

(3) الدافة : الجماعة تأتى من البادية إلى الحاضرة،وهى أيضا الجماعة تسير برفق .

قال : وإذا هم يريدون أن يَحتَازونا من أصلنا ويَغْصبونا الأمر . فلما سَكَت أردتُ أن أتكلّم وقد زَوَّرْتُ[1] فى نفسى مقالةً قد أعجبتنى أريد أن أقدّمها بين يدَىْ أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحدّ[2] ، فقال أبو بكر : على رِسلكَ يا عمر ! فكرهت أن أُغضبه ، فتكلّم وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تَزْويرى إلا قالها فى بديهته ، أو مثلَها ، أو أفضل ، حتى سكت . قال : أما ذكرتم فيكم من خيرٍ فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحىّ من قريش : هم أوسط العرب نسباً وداراً . وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم . وأخذ بيدِى وبيد أبى عُبيدة ابن الجراح وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئاً مما قال غيرها . كان والله أن أُقَدَّم فتضرب عنقى لا يُقَرِّبُنى ذلك إلى إثمٍ أَحبَّ إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

قال : فقال قائل من الأنصار : أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك ، وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ[3] ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش .

---

(١) زورت مقالة : أعددتها وحسنتها فى نفسى .

(٢) يريد أنه قد كان فى أخلاقه بعض الحدة ، فكان جهد عمر أن يداريه .

(٣) الجذيل : تصغير جذل ؛ وهو عود ينصب للإبل تحتك به وتستريح إليه والعرب تضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه . والعذيق : تصغير عذق ، وهى النخلة نفسها . والمرجب : الذى تبنى إلى جانبه دعامة ، لكثرة حمله وعزه على أهله ، وهو مضروب به المثل للرجل الشريف المبجل .

قال : فكثر اللَّغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى تَخَوَّفت الاختلاف ، فقلت : ابْسُطْ يدك يا أبا بكر . فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونَزَوْنَا[1] على سعد بن عُبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عُبَادة . فقلت : قتل الله سَعْدَ بن عُبَادة .

قال الزهرى : أخبرنى عروة بن الزبير ، أن أحد الرجلين اللذين لَقُوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُوَيْمُ بن ساعدة ، والآخر مَعْنُ بن عدى أخو بنى العَجْلَان ؛ فأما عُوَيْمُ بن ساعدة فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم مَن الذين قال الله عز وجل لهم : (فيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعمَ المرءُ مِنهم عُويمُ بنُ ساعِدةَ » . وأما مَعْن بن عدىّ فبلغنا أن الناس بَكَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفّاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لَوَدِدْنَا أنَّا مُتْنَا قبله ، إنا نخشى أن نَفْتَتِن بعده . قال معن بن عدىّ : لكنى والله ما أُحبُّ أنى متّ قبله ، حتى أصدّقه ميتاً كما صدقته حيًّا ! فَقُتِلَ مَعْنٌ يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر ، يوم مسيلمة الكذاب .

وحدثنى الزهرى ، قال : حدثنى أنس بن مالك ، قال :

لما بويع أبو بكر فى السَّقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

---

(1) النزو : الوثب .

أيها الناس ، إنى قد كنت قلتُ لكم بالأمس مقالةً ما كانت ، وما وَجَدْتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهداً عَهِدَهُ إلىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت أُرَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَيُدَبِّرُ أمرنا — يقول : يكون آخرنا — وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هَدَى الله رسولَهُ صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإنَّ الله قد جمع أمركم على خيركم صاحِبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه .

فبايع الناس أبا بكر بَيْعَتَه العامة بعد بيعة السقيفة .

ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فإنى قد وُلِّيت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أَحْسَنْتُ فأعينونى ، وإن أسأت فَقَوِّمُونى . الصِّدْقُ أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قَوِىٌّ عندى حتى أريح[1] عليه حَقَّه إن شاء الله ، والقوىُّ فيكم ضعيفٌ عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدَعُ قومٌ الجهادَ فى سبيل الله إلّا ضرَبهم الله بالذل ، ولا تَشِيعُ الفاحشة فى قوم قَطُّ إلا عَمَّهُمُ الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عَصَيْتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

---

(١) أراحه : أرجعه ورده .

عن ابن عباس ، قال : والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامدٌ إلى حاجة له وفى يده الدِّرَّةُ[1] ومامعه غيرى ، وهو يحدث نفسه، ويضرب وَحْشِىَّ قَدَمِهِ[2] بدِرَّته ، إذا الْتَفَتَ إلىَّ فقال : يا ابن عباس، هل تدرى ما كان حملَنى على مقالتى التى قلتُ حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا أدرى يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم . قال : فإنّه والله إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) ، فوالله إن كنتُ لَأَظُنُّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى أمته حتّى يشهدَ عليها بآخر أعمالها ؛ فإنّه لَلَّذى حملنى على أنْ قلتُ ما قلت .

---

(١) الدرة : ضرب من السياط يضرب به ، يكون للسلطان .

(٢) وحشى القدم : جانبها الخارجى .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

قال ابن إسحاق :

فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء .

فحدثنى عبد الله بن أبى بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا ، أن على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقُثَمَ بن العباس وأسامة بن زيد وشُقرانَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذى وَلُوا غسله ، وأن أوسَ بن خَوْلىٍّ أحد بنى عوف بن الخزرج قال لعلى بن أبى طالب : أَنْشُدُكَ الله يا علىّ وحَظَّنَا من رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر — قال : ادخل . فدخل فجلس ، وحضر غُسلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده علىٌّ ابن أبى طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلّبونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشُقْرَان مولاه هما اللذان يَصُبَّان الماء وعلىٌّ يغسله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يَدْلكه به من ورائه ، لا يُفْضِى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلىٌّ يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطْيَبَكَ حياً وميتا ! !

ولم يُرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ مما يُرَى من الميت .

عن عائشة، قالت: لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندرى، أنُجَرِّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد مَوتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النومَ حتى ما منهم رجل إلا ذَقَنُه فى صدره، ثم كَلَّمهم مُكَلِّم من ناحية البيت لا يدرون مَن هو: أن اغسلوا النبىَّ وعليه ثيابه. فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه يَصُبُّون الماء فوق القميص ويدلكونه، والقميصُ دون أيديهم.

قال ابن إسحاق:

فلما فُرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفِّن فى ثلاثة أثواب: ثوبين صُحَارِيين[1]، وبُرْدِ حِبَرَةٍ أُدرِجَ فيه إدراجا.

عن ابن عباس، قال:

لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أَبو عبيدة بن الجراح يَضْرَحُ[2] كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل هو الذى يَحْفر لأهل المدينة فكان يَلْحد[3]، فدعا العباسُ رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبى عبيدة بن الجَرَّاح، وللآخر: اذهب إلى أبى طلحة، اللهم خِرْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) صحاريين: نسبة إلى صحار، وهى بلدة من بلاد اليمن. ويقال: هى عمان.

(٢) الضرح: الشق. والضريح: القبر يشق فى وسط الأرض شقاً.

(٣) اللحد: الشق يكون فى جانب القبر.

فوجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما فُرغ من جَهَاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وُضِعَ على سريره في بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه ، فقال قائل : ندفنه في مسجده ، وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ماقُبِضَ نَبِيٌّ إلاَّ دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ » .

فرُفع فِراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى عليه ، فحُفِر له تحته ، ثم دخل الناسُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلُّونَ عليه أرسَالاً[1] ، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أُدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان ، ولم يَؤُمَّ الناسَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ .

ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وَسط الليل ليلة الأربعاء .

عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صَوْتَ الْمَسَاحى[2] من جَوْف الليل من ليلة الأربعاء .

---

(١) أرسالا : جماعة بعد جماعة ، الواحد رسل بالتحريك .

(٢) المساحى : جمع مسحاة ، وهى مجرفة من حديد .

قال ابن إسحاق :

وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، والفضل بن عبَّاس ، وقُثَم بن عباس ، وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أوس بن خَوْلِىٍّ لعلى بن أَبى طالب : يا على أَنشدك الله وحَظَّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال له : أنزلْ . فنزل مع القوم .

وقد كان مولاه شُقران — حين وُضِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته وبُنِىَ عليه — قد أخذ قطيفةً[1] قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها ، فدفنها فى القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحدٌ بعدك أبداً !

قال : فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان المغيرة بن شعبة يدَّعى أنه أحْدَثُ الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : أخذت خاتمى ، فألقيته فى القبر ، وقلت : إن خاتمى سقَطَ منى ، وإنما طرحته عمداً لأَمَسَّ رسول الله

---

(١) القطيفة : كساء له خمل ، أى أهداب .

صلى الله عليه وسلم فأكون أحدثَ الناس عهدا به صلى الله عليه وسلم .

عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال :

اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أمّ هانئ بنت أبى طالب، فلما فرغ من عمرته رجع، فسكِب له غسل فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئناك نسألك عن أمر نحبُّ أن تخبرنا عنه . قال: أظنُّ المغيرةَ بن شعبة يحدِّثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك . قال : أحْدَثُ الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قُثَمُ بن عباس .

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته قالت :

كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خَميصَةٌ سَوْداء[1] حين اشْتَدَّ به وَجَعه ، قالت : فهو يضعها مرَّةً على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، وهو يقول : « قَاتَلَ اللهُ قَوْماً اتَّخَذُوا قبُورَ أَنْبياَئِهم مَساجِدا! »، يَحذَر مِن ذلك على أمّته .

---

(١) الخميصة : كساء أسود مربع ، له علمان ، أى خطان .

عن عائشة ، قالت :

كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن قال : لَا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ دِينَانِ » .

قال ابن إسحاق :

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَظُمَت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة — فيما بلغنى — تقول :

لما تُوفِّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ارْتَدَّت العرب ، واشْرَأَبَّت اليهودية[١] والنصرانية ، ونَجَمَ النفاق[٢] ، وصار المسلمون كالغَنَمِ المَطِيرة[٣] فى الليلة الشاتية ، لفقدِ نبيِّهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم :

أنَّ أكثرَ أهلِ مكةَ لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَمُّوا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتَّى خافهم عَتَّابُ بن أَسِيد[٤] ، فَتَوَارَى ، فقام سُهَيْل بن عمرو ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة

(١) اشرأب الرجل : صعد عنقه لينظر . ومعناه تطلعت وبرزت .

(٢) نجم النفاق : ظهر وبدا .

(٣) المطيرة : التى أصابها المطر .

(٤) عتاب بن أسيد : كان والى مكة وأميرها حين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوّة ، فمن رابنا ضربنا عنقه !!

فتراجع الناسُ ، وكفُّوا عما همُّوا به ، وظهَّر عَتاب بن أُسيد .

فهذا المقامُ الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطاب : « إنهُ عسَى أن يقُومَ مقَاماً لا تذُمهُ » .

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى :

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ للرَّسُولِ ومَعْهدُ
مُنيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتهْمَدُ[1]

ولا تَمْتَحِى الآيَاتُ مِن دارِ حُرمَةٍ
بِهَا مِنبَرُ الْهَادِى الَّذِى كَانَ يَصعدُ[2]

وواضحُ آثارٍ وباقى مَعَالِمٍ
ورَبْعٌ لَهُ فيه مُصَلًّى ومسجِدُ

بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وسْطهَا
من اللهِ نُورٌ يُسْتَضَاء وَيُوقَدُ

مَعَارِفُ لَم تُطْمسْ عَلَى العهْدِ آيُهَا
أتَاها البِلَى فالآىُ مِنهَا تَجَدَّدُ[3]

---

(١) طيبة ، بفتح الطاء : اسم للمدينة . والرسم : ما بقى من آثار الدار .
(٢) تمتحى : تزول . الآيات : العلامات (٣) الآى : جمع آية .

عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ
وقبراً بِهَا وَاراهُ فى التُّرْبِ مُلْحِدُ[1]
ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكى الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ
عُيُونٌ ومِثْلَاهَا مِنَ الجَفنِ تُسْعِدُ[2]
يُذَكِّرْنَ آلاءَ الرَّسُولِ وما أرَى
لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِى فَنَفْسِى تَبَلَّدُ
مُفَجَّعَةً قد شَفَّهَا فَقْدُ أحمدٍ
فَظَلَّت لِآلاءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ[3]
وما بَلَغَتْ مِن كُلِّ أمرٍ عَشِيرَهُ
ولكن لِنَفسِى بَعدُ ما قد تَوَجَّدُ[4]
أطَالَت وُقُوفًا تَذرِفُ العينُ جهدَها
على طَلَلِ القَبرِ الَّذِى فِيهِ أحمدُ
فَبُورِكتَ يا قَبرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَت
بِلَادٌ ثَوَى فيها الرَّشِيدُ المُسَدَّدُ[5]

---

(١) الملحد : الذى يضع الميت فى لحده .

(٢) تسعد : تعين . والإسعاد : المعاونة .

(٣) شفها : أضعفها وأهزلها .

(٤) العشير : العشر . توجد ، من الوجد ، وهو الحزن .

(٥) ثوى : أقام . المسدد : الذى هدى إلى السداد ، وهو الصواب .

وبُورِكَ لَحْدٌ منكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا
عَلَيهِ بِنَاءٌ من صَفِيحٍ مُنَضَّدُ

تَهِيلُ عليهِ التُّربَ أيدٍ وأعيُنٌ
عَليهِ وقد غارت بِذلكَ أسعُدُ[1]

لَقَدْ غَيَّبُوا حِلمًا وعِلمًا ورحمَةً
عَشِيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرَى لا يُوَسَّدُ

ورَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهم نَبِيُّهُمْ
وقد وَهَنَتْ مِنهم ظُهُورٌ وأعضُدُ

يُبَكُّونَ من تَبكِى السَّمٰواتُ يومَهُ
ومَنْ قد بَكَتْهُ الأرضُ فالنَّاسُ أكْمَدُ

وهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكٍ
رَزِيَّةَ يَوْمٍ ماتَ فِيهِ مُحَمَّدُ[2]

تَقَطَّعَ فِيه مُنزَلُ الوَحىِ عَنْهُمُ
وَقَد كَانَ ذا نُورٍ يَغُورُ وُيُنْجِدُ[3]

يَدُلُّ عَلَى الرَّحمٰنِ مَنْ يُقتَدَى به
ويُنقِذُ مِن هَولِ الخَزَايا ويُرْشِدُ

---

(١) تهيل : تصب . الأسعد : جمع السعد .

(٢) عدله : ساواه . الرزيئة : المصيبة .

(٣) يغور : يبلغ الغور ، وهو تهامة وما يلى اليمن . وينجد : يأتى نجدا .

إمامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِم الحَقّ جَاهِداً
مُعَلِّمُ صِدْقٍ إنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا

عَفُوٌّ عن الزّلّاتِ يَقبلُ عُذْرَهُمْ
وَإنْ يُحْسِنُوا فاللهُ بالخيرِ أجوَدُ

وإن نَابَ أَمْرٌ لَم يَقُومُوا بِحَمْلِهِ
فَمِن عِنْدِهِ تَيْسِيرُ ما يَتَشَدَّدُ

فبيناهُمُ فِي نعمةِ اللهِ بينهم
دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقصَدُ

عَزِيزٌ عليهِ أن يَجُورُوا عَنِ الهُدَى
حَرِيصٌ عَلَى أن يَسْتَقِيمُوا ويَهتَدُوا

عَطُوفٌ عَليهِم لَا يُثَنِّي جَنَاحَهُ
إلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيهِمْ ويَمْهَدُ(١)

فَبَيْنَاهُمُ فِي ذَلِكَ النُّورِ إذ غَدَا
إلَى نُورِهِم سَهْمٌ مِن المَوتِ مُقْصِدُ(٢)

فأصبَحَ محموداً إلى اللهِ راجعاً
يُبَكِّيهِ جَفْنُ المُرسَلَاتِ ويَحْمَدُ(٣)

---

(١) الكنف : الجانب والناحية .

(٢) أقصده : أصابه فلم يخطئ مقاتله .

(٣) المرسلات : الملائكة .

وأمْسَتْ بِلَادُ الحِرْمِ وَحشًا بِقَاعُها

لِغَيْبَةِ ما كانت مِنَ الوَحىِ تَعهَدُ

قِفَاراً سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحدِ ضَافَها

فَقِيدٌ يُبَكِّيهِ بَلاطٌ وغَرقَدُ[1]

وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقدِهِ

خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقعَدُ

وبِالجَمْرَةِ الكُبْرَى لَهُ ثَمَّ أَوحَشَتْ

دِيَارٌ وعَرْصَاتٌ وربعٌ ومولِدُ[2]

فَبَكِّي رَسُولَ اللهِ ياعَيْنُ عَبْرَةً

وَلَا أَعرِفَنْكِ الدَّهرَ دَمعُكِ يَجْمُدُ

ومالَكِ لا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي

عَلَى النَّاسِ مِنها سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ[3]

فُجودِى عليهِ بِالدُّموعِ وأَعْوِلى

لِفَقْدِ الَّذِى لا مِثْلُهُ الدَّهرَ يُوجَدُ[4]

---

(١) ضافها : نزل بها . البلاط : المستوى من الأرض . الغرقد : شجر .

(٢) العرصات : جمع عرصة ، وهى الساحة ، سكن الراء لضرورة الشعر .

(٣) سابغ : كثير فياض . يتغمد : يستر ، والمراد يعم .

(٤) الإعوال : رفع الصوت بالبكاء .

وما فَقَدَ الماضونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
ولا مِثْلُهُ حتّى القيامةِ يُفْقَدُ
أعفَّ وأوفَى ذِمَّةً بعدَ ذِمَّةٍ
وأقربَ مِنْهُ نائِلاً لا يُنَكَّدُ(١)
وأبذَلَ منْهُ للطَّريفِ وتالِدٍ
إذا ضَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كانَ يُتْلَدُ(٢)
وأكْرَمَ صِيتًا فى الْبُيُوتِ إذَا انْتَمَى
وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ(٣)
وأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَتَ فِى الْعُلاَ
دعائِمَ عِزٍّ شاهِقاتٍ تُشَيَّدُ(٤)
وأثْبتَ فَرْعا فِى الْفُرُوعِ ومَنْبِتًا
وعُوداً غَذَاهُ الْمُزْنُ فَالعودُ أَغْيَدُ(٥)
رَبَاهُ وَلِيداً فَاسْتَتَمَّ تَمَامُهُ
عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْراتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ

---

(١) التنكيد : قلة العطاء ، ومنعه .
(٢) الطريف : المال المستحدث . يتلد : يكتسب قديما .
(٣) الأبطحى : المنسوب إلى أبطح مكة ، وهو مكان سهل متسع .
(٤) الذروات : الأعالى . شاهقات : مرتفعات .
(٥) المزن : السحاب ، واحدته مزنة . أغيد : ناعم متثن .

تناهت وصاة المسلمين بكفه

فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند[1]

أقول ولا يلفى لقولى عائب

من الناس إلا عازب العقل مبعد[2]

وليس هواى نازعا عن ثنائه

لعلى به فى جنة الخلد أخلد

مع المصطفى أرجو بذاك جواره

وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

* * *

وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما بال عينك لا تنام كأنما

كحلت مآقيها بكحل الأرمد[3]

جزعا على المهدى أصبح ثاويا

يا خير من وطئ الحصى لا تبعد[4]

---

(١) يفند : يعاب .

(٢) عازب العقل : بعد عنه عقله .

(٣) المآقى : جمع مأق ، وهو مجرى الدمع فى العين .

(٤) لا تبعد : لا تهلك . أى ليبق ذكرك خالدا .

وَجهى يَقِيكَ الـتُّربَ لَهفى لَيْتَنِى
غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِى بَقِيعِ ٱلْغَرْقَدِ (١)
بِأَبِى وَأُمِّى مَنْ شَهَدْتُ وَفَاتَهُ
فِى يَوْمِ الاثْنَيْنِ النَّبُّ الْمُهتَدِى
فَظَلِلتُ بَعدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّداً
مُتَلَدِّداً يَالَيْتَنِى لَمْ أُولَدِ (٢)
أَأُقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
يَالَيْتَنِى صُبِّحْتُ سُمَّ الأَسْوَدِ (٣)
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللهِ فِينا عَاجِلاً
فِى رَوْحَةٍ مِن يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ
فَتَقُومَ سَاعَتُنَا فَنَلْقَى طَيِّباً
مَحْضاً ضَرَائِبُهُ كَرِيمَ الْمَحْتِدِ (٤)
يَا بِكْرَ آمِنَةَ الْمُبَارَكِ بِكْرُهَا
وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الأَسْعَدِ

---

(١) بقيع الغرقد مقبرة أهل المدينة .
(٢) المتبلد : المتحير .
(٣) صبحه : سقاه الصبوح ، وهو شرب الصباح . والأسود : ضرب من الحيات .
(٤) المحض : الخالص . الضريبة : الطبيعة . المحتد : الأصل .

نُوراً أَضاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

مَنْ يُهْدَ لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِى

يَارَبِّ فاجْمَعْنَا مَعاً وَنَبِيَّنَا

فِى جَنَّةٍ تَثْنِى عُيُونَ الْحُسَّدِ

فِى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنا

يا ذَا الجلاَلِ وذا العُلا والسُّودَدِ

والله أسْمعُ ما بقيتُ بِهالِكٍ

إلا بكيتُ على النبىِّ محمَّدِ [1]

ياويْحَ أنصار النبى ورَهَطِهِ

بعد المُغيَّبُ فى سواء المَلْحَدِ [2]

ضَاقت بالأنْصار البلادُ فأصَبَحُوا

سوداً وجوهُهُم كلَوْنِ الإثمدِ

ولقَدْ وَلَدنَاهُ وفِينَا قَبْرُهُ

وفُضُولَ نِعمَتِهِ بِنَا لم نجْحَدِ

---

(١) والله أسمع ، أى أقسم بالله لا أسمع ، حذف حرف النفى .

(٢) سواء الملحد ، أى وسط اللحد .

والله أكرمنَا بِه وهدَى بِه

أنصَارَه في كل ساعَةٍ مَشْهَد

صَلَّى الإلٰهُ ومن يَحُفُّ بِعَرشِهِ

والطَّيبُونَ عَلَى المُبَارَكِ أحْمَدِ

قال ابن إسحاق:

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله وسلم:

نَبِّ المَسَاكِينَ أنَّ الخَيْرَ فَارَقَهُمْ

مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمُ سَحَرا(1)

مَنْ ذَا الَّذِى عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِى

وَرِزْقُ أهْلِى إذَا لَم يؤْنِسُوا المَطَرَا(2)

أمْ مَنْ نُعَاتِبُ لا نَخْشَى جَنَادِعَهُ

إذَا اللِّسَانُ عتَا فِى القَولِ أو عَثَرَا(3)

كَانَ الضِّيَاءَ وكَانَ النُّورَ نَتْبَعُهُ

بعدَ الإلهِ وكانَ السَّمعَ والبصرَا

---

(1) نبهم، أى نبئهم وأخبرهم.

(2) لم يؤنسوا المطر: لم يحسوه.

(3) الجنادع: أوائل الشر. عتا: طغا وزاد.

فَلَيْتَنَا يَومَ وَارَوْهُ بِمَلْحَدِهِ
وَغَيَّبُوهُ وَأَلقَوا فَوقَهُ المدرا

لَم يَتْرُكِ اللهُ مِنَّا بَعدَهُ أحداً
وَلَم يَعِشْ بَعدَهُ، أُنثى ولا ذَكَرَا

ذَلَّتْ رِقَابُ بنِي النَّجَارِ كُلِّهِمُ
وكان أَمْراً مِنَ أمرِ اللهِ قد قُدِرَا

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا:

آليتُ مَا فِى جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِداً
مِنِّى أَلِيَّةَ بِرٍّ غَيرِ إفْنَادِ[1]

تَاللهِ مَا حَمَلَتْ أنثى وَلاَ وَضَعَتْ
مِثلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الأُمَّةِ الهَادِى

ولاَ برا اللهُ خَلْقاً مِن بَرِيَّتِهِ
أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَو بِمِيعَادِ[2]

مِنَ الذِى كَانَ فِينا يُسْتضَاءُ بِهِ
مُبارَكَ الأَمرِ ذَا عَدلٍ وإرشَادِ

---

(١) الألية: اليمين والحلف. الإفناد: الكذب.

(٢) برا، أى برأ وخلق.

أَمسَى نِسَاؤُكَ عَطَّلْنَ البيُوتَ فَمَا
يَضرِبْنَ فوقَ قَفَا سِترٍ بِأوتَادِ

مِثلَ الرَّوَاهِبِ يلبسنَ المباذلَ قَد
أيقَنَّ بِالبؤسِ بَعدَ النَّعمةِ البَادي[1]

يَا أفضَلَ النَّاسِ إنِّى كُنْتُ فى نَهَرٍ
أصبَحْتُ مِنه كَمِثلِ المفرَدِ الصَّادِى[2]

قال ابن هشام :

عَجُز البيت الأول عن غير ابن إسحاق .

وجد بآخر نسخة من الأصول ما نصه :

وهذا آخر الكتاب ، والحمد لله كثيراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الأخيار الراشدين .

أنشدنى أبو محمد بن عبد الواحد ، عن محمد بن عبد الرحمن البرقى ، قال : أوعب أبو محمد عبد الملك بن هشام كتاب السيرة وبحضرته رجال من فصحاء العرب فقال :

---

(١) المباذل : جمع مبذل ، وهو الثوب الذى يتبذل فيه .

(٢) الصادى : العطشان .

تَمَّ الكتاب وصار فى العَرْض عشرين جــزءا كلها ترضى
كملت بلا لحن ٍ ولا خَطَل فى الشّكل والإعجام والقرض
والحمــل ٍ حَتّى صحَّ ناقله بعضٌ من العلماء عن بعض

تم تهذيب سيرة ابن هشام فى ليلة الخميس وهى ليلة الحادى عشر من شهر رمضان سنة ١٣٧٤ .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ؟

وكتب
عبد السّلام هارون

الفهارس

١ — فهرس الأعلام

ت

ث

ج

ش

ص

ض

غ

ف

ل

م

ن

هـ

٢ — فهرس القبائل والجماعات

---

(١) لم أذكر أرقام صفحاتها لورودها بكثرة مفرطة تنفى الفائدة من إثباتها .

٣ — فهرس البلدان والمواضع ونحوها

(١) أهملت أرقامها لكثرتها كثرة مفرطة لا تتحقق معها الفائدة.

---

(١) أهملت أرقامها لكثرتها كثرة مفرطة لا تتحقق معها الفائدة .

٤ — فهرس الشعر

٥ — فهرس السير والمغازى

صواب أخطاء الطبع

ص	س	
٧٦	٣	عند الصفا
١١١	٨	الأسود بن المطلب
١٤٢	١٣	يا أبا الفضل ؟
١٦٢	٣	بن مالك بن جعشم
١٨٧	١٣	بصخيرات
١٩٤	٥	رأس أبي قبيس
١٩٤	١٠	الوليد بن عتبة
٢١٤	١٤	الأسود بن المطلب
٢٣٠	٦	من قناةَ
٣٢٠	٥	بن أبي ضرار
٣٢٠	١٠	بني كعب بن عوف
٣٢٩	١٣	فُسَح المدينة
٤٠٣	١٤	لم تغِبْ عنه كعب
٤٤٨	٩	وهو عم بني عمرو
٤٦٥	٧	نُعْيم
٥١٧	١	آخر البعوث

